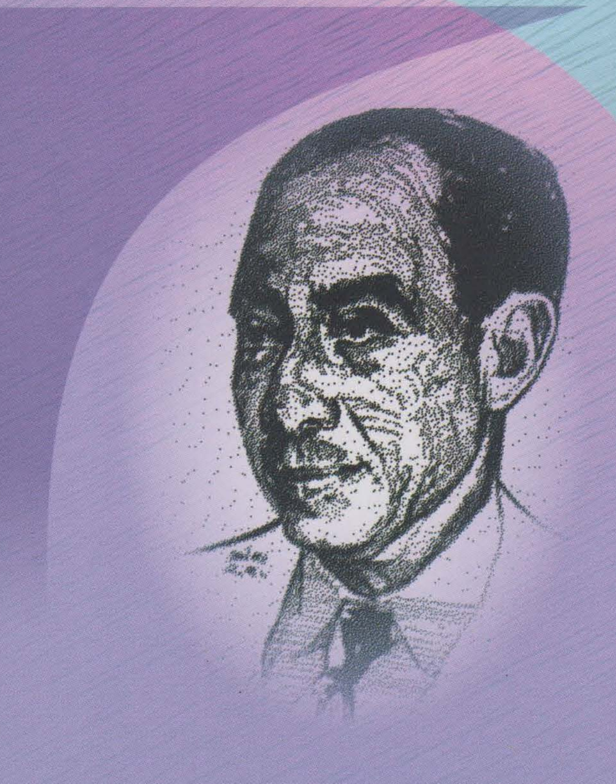
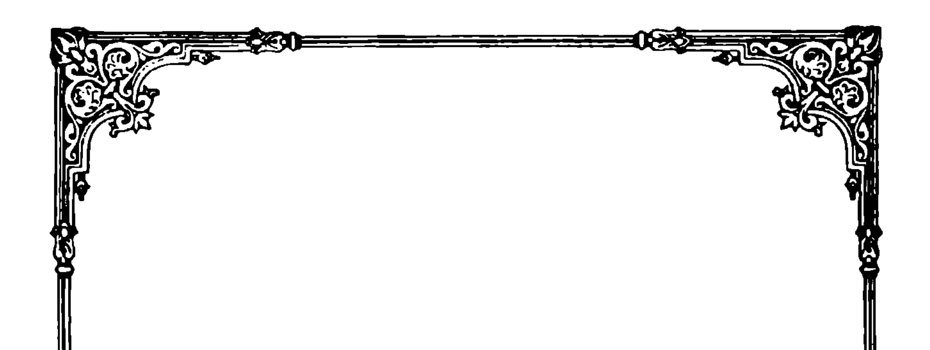
سلسلة رواد التقريب ٦



سيد قطب

علي احمدي





بمناسبة الذكرى المئوية لولادة المفكر الاسلامي الكبير سيّد قطب

سيّد قطب

تأليف: علي أحمدي

تعريب: عبدالحسن نجفي بهبهاني

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه : احمدي، علي.
عنوان قراردادي : شهيد سيدقطب آيت جهاد. عربي.
عنوان و پديدآور : سيدقطب آية الجهاد / تأليف علي احمدي؛ تحقيق واستدراك محمد جاسم الساعدي؛ تعريب عبدالحسن نجفي بهبهاني.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهرى : ۱۷۶ ص.
شابک : 978-964-8889-84-0
وضعيت فهرست‌نويسى : فيپا.
يادداشت : كتابنامه: ص [۱۵۹] ـ ۱۶۶؛ همچنين به صورت زير نويس.
موضوع : قطب، سيد، ۱۹۰۶ ـ ۱۹۹۶ م.Qutb, Sayyed ــ سرگذشتنامه.
موضوع : اصلاح طلبان ــ كشورهاى اسلامى.
موضوع : اسلام ــ تجديد حيات فكرى.
موضوع : تقريب مذاهب.
موضوع : وحدت اسلامى.
شناسه افزوده : نجفى بهبهانى، عبدالحسن، مترجم.
شناسه افزوده : ساعدى، محمد جاسم، محقق.
شناسه افزوده : مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى. معاونت فرهنگى.
رده‌بندى كنگره : ۱۳۸۵ ـ ۳۳۰۴۳ الف۶ ق/BP۲۳۳/۷/۷.
رده‌بندى ديويى : ۲۹۷/۴۸.
شماره كتابخانه ملى : ۸۵–۴۵۷۱۹م.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية



اسم الكتاب: سيد قطب آية الجهاد

تأليف: علي احمدي

تعريب: عبدالحسن نجفي بهبهاني

تحقيق و استدراك: محمد جاسم الساعدي

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية

الطبعة: الاولى – ۱۴۲۸ هـ.ق ۲۰۰۷ م

الكمية: ۲۰۰۰ نسخه

السعر: ۱۳۰۰ تومان

المطبعة: نيرو

ردمك: ۹۷۸-۹۶۴ – ۸۸۸۹ – ۸۴ – ۰ ISBN: 978-964 – 8889 – 84 –0

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران _ طهران _ ص. ب: ۶۹۹۵ _ ۱۵۸۷۵

تلفكس: ۱۴ – ۸۸۳۲۱۴۱۱ – ۲۱ – ۰۰۹۸

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى علىٰ البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها الخبراء في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع

فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء، هم الطليعة التي ترجمها المجمع بعنوان «روّاد التقريب»، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال التقريب وروّاده في نشر وترويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام ورفرفة رايته الفضفاضة، بحيث يتسنّىٰ للأجيال اللاحقة متابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكر إصلاحي وتقريبي بحاجة إلى برنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية وأموالهم الطيّبة وأوقاتهم الشريفة من أجلها.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كما يلي:

١ ـ متابعة التعريب الذي تمّ على النصّ الفارسي للكتاب، والإشراف على الترجمة، وتهذيب بعض بنودها التي رأيتها مناسبة أكثر لموضوع الكتاب، وسبك العبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّ للقارئ اللبيب الإحاطة

بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة والإصلاح أكثر فأكثر. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري إلى المجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة لي للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥ / ذو الحجّة / ١٤٢٧ هـ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]

مدخل

على مرّ التاريخ شهد العالم وجود مفكّرين وعلماء كبار حملوا مشعل الحريّة والعدل. وفي العالم الإسلامي كان هناك رجال و شخصيات رفعوا شعار العودة إلى الإسلام الحقيقي ومكافحة الظلم. ويعدّ السيّد جمال الدين الأسدآبادي (الأفغاني) أحد أبرز المفكّرين المسلمين الذين ناهضوا الاستعمار وعملوا على فضح أهدافه ومخطّطاته للأُمة الإسلاميّة، ومن ثمّ أسّسوا لخطاب نهضوي يدعو للتصدّي لأعداء الإسلام.

ويمكن القول: إن السيّد جمال الدين الأسدآبادي كان ذلك الرائد الذي زرع بذرة الثورة والجهاد ضدّ الاستكبار في قلوب مسلمي العالم بدءً بمصر وانتهاءً بأفغانستان، وأوجد انقلاباً عظيماً في المنحى الفكري لسائر المفكّرين المسلمين.

ويعد سيّد قطب أحد المفكّرين المصريّين ممّن رفع شعار الإسلام ومكافحة الاستعمار بوحي من رؤى وأفكار السيّد جمال الدين الأسدآبادي (الأفغاني)

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٦٩.

وضحّى بنفسه، ليكون شهيد الصحوة الإسلاميّة[١].

لقد بذل سيّد قطب على مرّ نصف قرن من الزمن جهوداً كبيرة، وقدّم خدمات جليلة، وذلك في سبيل أعلاء كلمة الإسلام وتأسيس الحكومة الإسلاميّة.

وبالرغم من أنّ أعداء الإسلام نجحوا في إعاقته عن الوصول إلى هدفه الأسمى ـ وهو تأسيس حكومة إسلاميّة عالميّة ـ إلّا أنّ كتبه راحت تطبع المرّة تلو الأُخرى، وتنتشر في كافّة أرجاء العالم وبمختلف اللغات.

وبذا أضحى سيّد قطب معلماً وضّاءً يستهدي بنوره الشباب المؤمن الرسالي الثوري في كلّ أطراف العالم الإسلامي.

يقول الأُستاذ السيّد هادي خسروشاهي ـ وهو من مترجمي كتب سيّد قطب ـ: «في عام ١٩٦٩م تشرّفت بزيارة بيت الله الحرام، وأثناء حضوري بمكّة المكرّمة التقيت بالأُستاذ برهان الدين ربّاني، فقال لي: عندما ترجم كتابا «الدراسات الإسلاميّة» و«العدالة الاجتماعيّة» لسيّد قطب بقلمكم إلى اللغة الفارسية، كان لهما الصدى الكبير بين الطلبة الجامعيّين في أفغانستان، حيث تلاقفتهما أيدي الطلبة، وأصبحا مصدر إشعاع يرسم لنا معالم طريقنا وتطلّعاتنا»[٢].

وقال لي القاضي أمين الوقّاد قائد منظّمة «الحركة الإسلاميّة» في أفغانستان: «قرأت ترجمتكم لكتاب «الدراسات الإسلاميّة»، واستفدت منه كثيراً، والملاحظة التي أثارت انتباهي هي أنّ المؤلّف كان سنّياً والمترجم شيعيّاً»[٣].

---

(١) رويدادها (الوقائع): ١٠٤.

(٢) ما چه مي‌گوييم (ماذا نقول؟): ١٠ (الترجمة الفارسية لكتاب دراسات إسلاميّة).

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

لقد كان للأفكار والرؤى التي طرحها سيّد قطب الصدى الكبير في أفغانستان إلى درجة أنّ الحكومة الأفغانيّة على عهد الملك ظاهر شاه[١] وداود خان كانت تلقي القبض على كلّ من تجد في حوزته كتاب «الدراسات الإسلاميّة» وتودعه السجن[٢].

ويقول بعض قيادي المجاهدين الأفغان: «إنّ هذا الكتاب كان يتداوله المجاهدون الأفغان، وبقراءته يضحون أكثر عزماً وتصميماً في جهادهم ضدّ الروس»[٣].

وعن شخصيّة سيّد قطب يكتب الأُستاذ السيّد محمّد خامنئي قبل أربعين عاماً:

«سيّد قطب علاوة على إتقانه للأدب العربي يتمتّع بعدّة مميّزات، من أهمّها وأكبرها وعيه الصحيح للإسلام بدرجة تثير إعجاب الكثيرين ممّن يرون أنّ فهم القرآن لا يتيسّر إلّا بلحية كثّة تملأ الوجه وعمامة كبيرة! فعظمة المقام المعنوي لسيّد قطب تثير الانبهار».

ثمّة كتب قيّمة تناولت شخصيّة وتراث وأفكار الشهيد سيّد قطب باللغة العربية، نذكر منها:

---

(١) محمّد ظاهر شاه: ملك أفغانستان سابقاً. ولد سنة ١٩١٤ م، وتلقّى تعليمه العالي في فرنسا، حيث تخرّج بمرتبة الشرف، ودخل المدرسة العسكرية. تولّى عدّة وزارات، وعيّن ملكاً على أفغانستان سنة ١٩٣٣ م، وخلع عن العرش في عام ١٩٧٣ م، وتخلّى عن العرش في نفس العام الذي خلع فيه. (موسوعة السياسة ٣: ٧٩٤).

(٢) ما چه مي‌گوييم (ماذا نقول؟): ١٠ (الترجمة الفارسية لكتاب دراسات إسلاميّة).

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

١ ـ الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، من تأليف الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي.

٢ ـ سيّد قطب من القرية إلى حبل المشنقة، من تأليف عادل حمّودة.

٣ ـ سيّد قطب الأديب الناقد، من تأليف الدكتور عبد الله خبّاص.

٤ ـ سيّد قطب حياته وأدبه، من تأليف الأُستاذ محمّد حسين عبدالباقي.

٥ ـ رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيّد قطب، من تأليف يوسف العظم.

٦ ـ سيّد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي، من تأليف محمّد علي قطب.

٧ ـ العالم الربّاني الشهيد سيّد قطب، من تأليف أحمد سليمان عشماوي.

يسعى هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ إلى التعريف بشخصيّة سيّد قطب كعالم فاضل جاهد الاستكبار، ومفكّر عاش هموم الوحدة الإسلاميّة وعمل على تكريسها في العالم الإسلامي، ومجاهد لم يأل جهداً في مقارعة الغرب ولم يتعايش مع أفكاره الغرب ومثله وثقافته المنحطّة.

وفي الخاتمة لابدّ من التنويه بأنّي قد اعتمدت في كتابي هذا على كتاب «الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» بشكل أساسي، ولذا لا يسعني هنا إلّا أن أتقدّم لمؤلّفه بالشكر الجزيل على إنجازه القيّم هذا.

ومن الله التوفيق

علي الأحمدي

الفصل الأوّل :

قرية موشه

القرية

تقع قرية «موشه» أو «موشا» من الناحية الجغرافيّة في منطقة مرتفعة على ضفاف نهر النيل. يحيط بالقرية جبلان، وفي الجانب الآخر تقع أراضي القرية الزراعيّة. وفرة المياه بسبب قرب الأراضي من نهر النيل أدّت إلى وفرة البساتين والحقول التي تعود على أهلها بأنواع الخضروات والفواكه.

الوضع الثقافي

غالبية سكّان قرية «موشه» هم من المسلمين، وإلى جانبهم تقطن أقليّة من المسيحيّين. وعلى مقربة خمسة كيلو مترات من القرية وعلى سفح جبل يقع دير يعرف بدير موشه، يقصده مسيحيّوا القرية.

وفي الوقت الحاضر أضحى هذا الدير مهجوراً، إذ لا يقصده مسيحيوا القرية، وذلك لبعده عنها، فاستعاضوا عنه بكنيسة بنوها في نفس القرية.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي

قرية «موشا» قرية غنيّة بمواردها، ونظيفة، وذات طابع عصري.

وبصورة عامّة، فإنّ هذه القرية تفوق سائر القرى المجاورة بما لها من مميّزات تختصّ بها.

الجميع في القرية يمتلك أرضاً زراعيّة صغيرة أو كبيرة، والمستوى المعيشي

للناس عموماً متوسّط الحال.

ومن الناحية الاجتماعية فإنّ قيم العطف والإحسان وتقديم العون للآخرين هي القيم السائدة في القرية، حيث لم يعرف أهالي المنطقة للفرقة والعداء والبغض عيناً ولا أثراً، فالجميع يتمتّعون بعلاقات اجتماعيّة حميمة.

والداه

بعد وفاة أبيه أضحى الحاج قطب إبراهيم عميد أُسرة قطب.

أبرز ما كان يمتاز به الحاج هو كثرة إنفاقه على الآخرين. ثقافته وتطلّعاته الدينيّة من جانب، وموقعه الاجتماعي في الأُسرة من جانب آخر، هما اللذان يبعثانه على ذلك.

ووصل به البذل والعطاء إلى إنفاق جميع ممتلكاته، فعمد إلى أراضيه الزراعيّة وأخذ يبيعها الواحدة تلو الأُخرى، حتّى بلغ به الأمر إلى أن اضطرّ إلى بيع بيته الواسع الجميل.

ومن سجاياه الأُخرى التي يذكرها سيّد قطب تواضعه الجمّ.

عن هذه الخصوصيّة يحكي لنا سيّد قطب كيف أنّ العمّال الذين يعملون عند أبيه كانوا يخاطبونه على رسم العادة بـ «سيّدي»، لكنّه كان يستاء كثيراً من هذه الكلمة، ويطلب منهم أن لا يستعملوها، مقترحاً عليهم أن يناديه من هو أصغر منه سنّاً بـ «عمّي الحاجّ»، وأمّا الكبار فلينادوه بكلمة «الحاجّ» فقط.

كان من عادته في كلّ سنة أن يدعو أهالي القرية في أيّام عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى، وعاشوراء، والخامس عشر من شعبان ذكرى معراج الرسول الأكرم ﷺ، وكذلك في شهر رمضان، ويقيم مجلساً لتلاوة القرآن الكريم،

وبعد أن تنتهي مراسيم التلاوة يقدّم للضيوف ألذّ الأطعمة وأطيبها.

ومن الناحية السياسيّة كان الحاج إبراهيم عضواً في حزب اللواء المصري، وكان بيته مقرّاً يتداول فيه قضايا الساعة وشؤون السياسة.

وفي خضم أحداث ثورة ١٩١٩م كان يقيم اللقاءات والندوات السريّة والعلنيّة، ويعلّم الناس مبادئ الثورة والطريق إليها.

والدة سيّد قطب امرأة صالحة تنحدر من أُسرة عريقة، كانت قبل زواجها من الحاج إبراهيم تسكن في القاهرة. اثنان من أُخوتها يدرّسان في جامعة الأزهر ويحتلّان موقعاً مرموقاً في المجتمع.

من أبرز ما امتازت به هذه المرأة الجليلة أنّها كانت تحب الاستماع إلى صوت القارئ للقرآن الكريم، ولذلك أرسلت ولدها سيّد قطب إلى المدرسة حتّى يتعلّم القرآن ويتلوه على أسماعها.

في عام ١٩٤٠م التحقت والدة سيّد قطب بالرفيق الأعلى في قرية «موشه»(١).

---

(١) تمّ اقتباس هذا الفصل من كتاب «طفل في القرية» تأليف الأُستاذ سيّد قطب.

الفصل الثاني :

الأُسرة المجاهدة

أُسرة سيّد قطب

تزوّج الحاج إبراهيم قطب مرّتين، ثمرة الزواج الأوّل كانت بنتاً، وأمّا ثمرة الزواج الثاني فكانت بنات وولدين.

والملاحظ أنّ هؤلاء الأبناء ما أن وصلوا إلى سنّ الرشد حتّى دخلوا في صراع مع الحكومة المعاصرة وذاقوا مرارة السجن.

أولاد الحاج إبراهيم من زواجه الثاني هم كالآتي:

١ ـ نفيسة: ولدت في قرية موشه، وعندما وصلت سنّ الرشد تزوّجت من شاب يدعى بكر بن شافع، وبعد مدّة رزقت ولدان: رفعت، وعزمي.

عندما أُودع سيّد قطب السجن بتهمة العمل الإسلامي أُلقي القبض على كلّ من نفيسة ورفعت وعزمي، وتعرّضوا للتعذيب الوحشي. وبعد مدّة أُطلق سراح نفيسة، وبقي رفعت وعزمي رهن السجن[١].

الحكومة المصرية طلبت من رفعت أن يعترف ضدّ خاله سيّد قطب مقابل إطلاق سراحه، إلّا أنّ رفعت رفض ذلك وبقي صامداً تحت التعذيب حتّى استشهد. وأمّا عزمي فقد أُطلق سراحه بعد فترة من الزمن[٢].

٢ ـ أمينة: هي أصغر من سيّد قطب، ولدت في قرية موشه، وتمتلك خبرة

---

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٤٢.

(٢) نفس المصدر: ٤٢.

واسعة بالأدب العربي، ولها أشعار في غاية الروعة، وكان لها دور وإسهام في تأليف كتاب «الأطياف الأربعة» إلى جانب أخيها سيّد قطب.

يصف سيّد قطب أُخته أمينة بأنّها تلك الشابّة الهادئة الغارقة في ذكريات الماضي، والشاعرة التي تعتمد في تجربتها الشعرية على خزين يعلو فيه الطابع الفكري على الطابع الأدبي، تجدها دائماً حالمة في آمالها وطموحاتها البعيدة وسادرة[1] في ماضيها المتصرّم.

وعلى جانب آخر تتمتّع أمينة بمهارة فائقة في مجال كتابة القصّة، حيث ألّفت كتاباً اسمته «في تيّار المياه»، يتضمّن اثنتي عشر «قصّة»، وأهدت الكتاب إلى أخويها سيّد ومحمّد.

وكسائر أعضاء أُسرتها أُودعت أمينة السجن جرّاء قضيّة أخيها سيّد قطب، وتعرّضت إلى التعذيب. وبعد مدّة أُطلق سراحها، فخرجت من السجن بعزيمة أرسخ من قبل، وراحت تناضل من أجل أهدافها السامية، فألّفت كتاباً اسمته «في الطريق».

الكتاب يعكس وبوضوح التوجّه الإسلامي الذي تحمله أمينة إزاء مختلف قضايا الحياة، وهو كما تصفه في المقدّمة بأنّه المجموعة القصصيّة الثانية. ويعدّ من بواكير أعمالها، وهو مجموعة قصصيّة ذات طابع إنساني تزدحم فيه معاني السمو والنزاهة، قصص بمضامين إيمانيّة ومشوبة بعواطف إسلاميّة صادقة.

في عام ١٩٥٤ م تزّوجت من شاب يدعى كمال السنانيري، وهو عضو في حركة الإخوان المسلمين. وبعد زواجها بمدّة اعتقل زوجها كمال بتهمة الانتماء

---

(١) السادر: المتحيّر، والذي لايهتمّ بشيء. (مجمل اللغة: ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

إلى الإخوان المسلمين، وأُودع السجن.

وفي السجن أقدم كمال على طلاق أمينة كي يتيسّر لها أن تشقّ مسار حياتها بالصورة التي تختارها هي، وتكون في حلٍّ منه، ولا تبقى تحمل همّ الانتظار وهمّ ما يجري عليه والمصير الذي ينتظره.

إلّا أنّ أمينة ردّت على طلب زوجها بقصيدة، أعلنت فيها عن رفضها لفكرة الطلاق، وبذلك برهنت على وفائها لزوجها.

وفي عام ١٩٨١م أقدم النظام الحاكم على إعدام كمال السنانيري. تلقّت أمينة خبر استشهاد زوجها بمزيد من الأسى، ورثته بأكثر من عشرين قصيدة، جمعتها في كتاب حمل عنوان «رسائل إلى شهيد»[١].

٣ـ حميدة: وهي أصغر أولاد الأُسرة، تتمتّع بشخصيّة أدبيّة، وكان لها إسهام في كتابة كتاب «الأطياف الأربعة» إلى جانب أخيها سيّد قطب.

كتبت العديد من المقالات في ما يرتبط بالموضوعات الإسلاميّة، نشرت في مجلّتي «المسلمون» و«الإخوان المسلمون».

حميدة هي الأُخرى أُلقي القبض عليها بسبب ما تحمل من رؤى وأفكار ثورية، وحكم عليها بالسجن لمدّة عشرة سنوات مع الأعمال الشاقّة.

وبعد أن قضت ستّة أعوامٍ في السجن أُطلق سراحها بقرار عفو حكومي، وبعد خروجها من السجن تزوّجت من الدكتور حميد المسعدي، وهاجرت معه إلى فرنسا لتقيم هناك.

وفي فرنسا لم تنس حميدة أهدافها ومثلها، ولذا أسّست بمعيّة الداعية زينب

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٤٤.

الغزالي[١] جمعيّة تحت عنوان «جمعية الأخوات المسلمات»[٢].

٤ ـ محمّد قطب: ولد عام ١٩١٩م في قرية موشه، أتمّ دراسته الابتدائيّة والمتوسّطة في القرية نفسها، ثمّ هاجر إلى القاهرة من أجل إكمال دارسته. وهناك عكف أوّلاً على إتقان اللغة الإنجليزية، ثمّ دخل جامعة الأزهر فرع التربية. وبعد أربع سنوات حاز على شهادة الليسانس (البكالوريوس أو الإجازة) ليعمل في سلك التعليم في وزارة التربية والتعليم.

وفي عام ١٩٥٤م اعتقل هو وعدد من زملائه بتهمة التعاون مع الإخوان المسلمين، وأُودع السجن، لكن لم يصدر بحقّه أيّ حكم، وبالتالي أُطلق سراحه.

وبتاريخ ١٩٥٨/٨/٢م أُلقي القبض عليه للمرّة الثانية بتهمة القيام بطباعة كتب أخيه سيّد قطب، وأُودع السجن.

وفي السجن تعرّض إلى أقسى ألوان التعذيب إلى درجة أنّ الناس ظنّوا أنّه استشهد، كما كان ذلك هو مصير الكثير من أعضاء حركة الإخوان المسلمين.

---

(١) زينب محمّد الغزالي الجبيلي: مفكّرة إسلامية بارعة. ولدت عام ١٩١٧ م بمحافظة الدقهلية، وأبوها من علماء الأزهر، وتلقّت دروس الحديث والفقه والتفسير على يد بعض مشايخ الأزهر، والتقت بالشهيد حسن البنّا عام ١٩٤١ م، وبايعته على العمل معه، وذلك في عام ١٩٤٨ م تحت لواء الإخوان المسلمين، وأصدرت مجلّة (السيّدات المسلمات) سنة ١٩٥٠م، والتي صودرت عام ١٩٥٨م، ورأست قسم الأخوات المسلمات، وفي عام ١٩٦٥م ألقت الحكومة القبض عليها بتهمة العمل على قلب نظام الحكم، وطالبت النيابة بإعدامها، وصدر الحكم بسجنها مؤبّداً مع الأشغال الشاقّة، وتعرّضت لفترة تعذيب رهيبة قبل صدور الحكم عليها، وصدر قرار من أنور السادات وبوساطة الملك فيصل بالإفراج عنها بعفو شامل سنة ١٩٧١ م، فأخذت تمارس دورها كداعية، وزارت بلداناً كثيرة. من مؤلّفاتها: أيّام من حياتي، نحو بعث جديد، مع كتاب الله، مشكلات الشباب والفتيات. (عظماء الإسلام: ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٢) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٤٤.

إلّا أنّ محمّداً ـ وبعد سبعة أعوام قضاها في السجن لاقى فيها الكثير من الويلات والآلام على يد قوّات الأمن ـ أُطلق سراحه، وهاجر إلى السعودية، وهناك اشتغل في «جامعة الملك عبدالعزيز».

وفي سنّ الخمسين من عمره تزوّج محمّد قطب وأنجب عدّة أولاد، يدعى الابن الأكبر منهم أُسامة.

تأليفات محمّد قطب

لمحمّد قطب تأليفات كثيرة في حقل الدين، نذكر هنا عدداً منها:

الإنسان بين المادّية والإسلام، شبهات حول الإسلام، في النفس والمجتمع، قبسات من الرسول، معركة التقاليد، منبع التربيّة الإسلاميّة (مجلّدان)، منبع الفنّ الإسلامي، التطوّر والثبات في الحياة البشرية، دراسات في النفس الإنسانيّة، جاهلية القرن العشرين، هل نحن مسلمون، دراسات قرآنية، واقعنا المعاصر، مفاهيم ينبغي أن تصحّح، مذاهب فكرية معاصرة، المستشرقون والإسلام، دروس من محنة البوسنة والهرسك، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، سخريات صغيرة، لا إله إلّا الله عقيدة وشريعة، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، الجهاد الأفغاني ودلالاته، دروس تربوية من القرآن الكريم، رؤية إسلاميّة لأحوال العالم المعاصر، حول تطبيق الشريعة، العلمانيّون والإسلام.

وقم تمّت ترجمة عددٍ من كتب هذا المفكّر المسلم إلى اللغة الفارسيّة.

محمّد قطب أفكاره وآراؤه

الملاحظ أنّ أهمّ شخصيّة ساهمت في تكوين البنية الفكرية والعقيدية للأُستاذ محمّد قطب هو أخوه سيّد قطب، ولهذا نجده كأخيه يحمل رؤى معادية للاستعمار، كما نجده يظهر أسفه وحزنه العميقين لغياب الموقف الرسالي المطلوب

من قبل مسلمي العالم، الموقف الذي يقضي بتشكيل جبهة إسلاميّة متّحدة ومتلاحمة ضدّ إعداء الإسلام ومخطّطاتهم.

وعن فكرة فصل الدين عن السياسة كتب محمّد قطب[١]:

«لقد بذل الاستعمار الصليبي كلّ ما في وسعه للقضاء عليه ـ أي: الإسلام ـ وفتّت العالم الإسلامي إلى دويلات، وأمسك بكلّ دولة على حدة يعزلها عن أخواتها، وأثار بينها الأحقاد والمنازعات. وفي كلّ منها عزل الدين عن المجتمع، وعزل الشريعة عن الحياة، وحارب كلّ حركة تقوم فيها لإحياء الدين وإعادته إلى الواقع الحيّ، ورسم سياسة تعليمية تبعد الشباب النابه عن منابع دينه، ولا تبقي في نفسه منه غير الشبهات، وحرص على إخراج جيل من المثقّفين في كلّ بلد إسلامي، ينفر من الدين وينسلخ منه، ونجح في ذلك كلّه. ثمّ تقوم في أمريكا ذاتها، تقوم حركة إسلاميّة بين الزنوج هناك، يصل أتباعها إلى نصف مليون في ثلاث سنوات»[٢].

٥ـ سيّد قطب.

وسنذكر ميلاده ودراسته في الفصل الآتي.

---

(١) آيا ما مسلمان هستيم (هل نحن مسلمون؟): ٢١٢.

(٢) في الوقت الراهن تجاوزت الإحصائيّات المليون.

الفصل الثالث :

الميلاد والمدرسة

ولادته ومدرسته

ولد سيّد قطب بتاريخ ١٩٠٦/١٠/٩م في قرية موشه (موشا)، وتعرف أيضاً بقرية عبدالفتّاح، من توابع محافظة أسيوط بمصر.

وبعد أن قضى عهد الطفولة قرّر والداه أن يبعثاه للمدرسة، لكن الطفل لم يكن يرغب في الذهاب إلى المدرسة، بل كان يودّ البقاء في البيت.

وبعد تشجيع وإصرار حثيثين من قبل والديه ذهب إلى المدرسة في عام ١٩١٢م، وكان في عمر السادسة، وما أن وطأت قدماه المدرسة حتّى شاهد الطفل ناظر المدرسة ـ وكان عسكرياً سابقاً ـ يضرب الأطفال، فهرب من المدرسة راجعاً إلى البيت.

راحت الأُمّ تتحدّث مع زوجها لينصح الطفل في العودة إلى المدرسة، وذلك لأنّ حلمها الكبير أن ترى ولدها يدرس ويصبح من المتعلّمين.

أخذ سيّد بنصيحة أبيه، ورجع إلى المدرسة، وشرع بالدراسة.

في القرية كان هناك شيخ يعلّم الأولاد القرآن تلاوةً وحفظاً بالطريقة التقليديّة. وما أن تمّ إحداث مدرسة كلاسيكيّة حكوميّة حتّى هجر الأولاد الشيخ ومكتبه، واتّجهوا إلى المدرسة الحكوميّة.

بعض أهالي القرية كان متشائماً من ظاهرة المدارس الحكوميّة، وذلك باعتبارها تحول دون تعلّم الأولاد القرآن.

وعندما كان سيّد في الصفّ الثاني الابتدائي، جاء صاحب المكتب إلى

الحاج إبراهيم ـ وكانت تربطهما علاقة صداقة حميمة ـ طالباً منه أن ينقل ابنه من المدرسة إلى المكتب؛ ليتعلم هناك المسائل الدينيّة ويحفظ القرآن. فوعده الحاج إبراهيم أن يبعث ابنه إلى المكتب صباح اليوم التالي.

وفي صباح ذلك اليوم توجّه سيّد إلى المكتب بتوصية من والده، ولكنّه سرعان ما تاقت نفسه إلى المدرسة وإلى زملائه. ولذا صمّم غداة ذلك اليوم أن يرجع إلى مدرسته، وقرّر مع نفسه حفظ القرآن الكريم؛ إذ كان البعض من أهالي القرية يتصوّرون أنّ المدرسة تمنع التلاميذ من تعلّم القرآن،، وأنّ كل من ذهب إلى المدرسة يغفل عن القرآن، فرأى أنّه يجب عليه ـ والحال هذه ـ أن يدرس دروسه وأن يحفظ القرآن أيضاً، فبدأ بحفظ القرآن الكريم.

وما أن وصل إلى الصفّ الرابع الابتدائي حتّى أتمّ حفظ القرآن الكريم بأكمله، وكان عمره عشرة سنوات.

منذ نعومة أظفاره امتاز سيّد بالدقّة، فكان لا يقبل الكلام إلّا بدليل.

يحدّثنا بنفسه أنّه في مرّة من المرّات جاء أحد علماء الأزهر إلى قريته بهدف الدعوة والإرشاد. وفي إحدى الليالي كان هذا العالم يفسّر سورة الكهف وهو على المنبر، فقرأ آية ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[1]، فصحت عليه ـ وكنت جالساً تحت المنبر ـ: يا شيخ، لماذا جزمت الياء في ﴿نبغِ﴾ من دون جازم[2]؟!

كان منذ طفولته شغوفاً بالكتب وبالمطالعة، بدرجة أنّه عرف بين أهالي

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٦٤.

(٢) نبغِ: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الياء المحذوفة من الرسم القرآني تخفيفاً، أو على الوقف، أو على مراد التشبيه بالفواصل، كما هو رأي العكبري في إملاء ما منّ به الرحمان: ٢: ٤٠٢.

القرية بذلك.

كان هناك شخص يدعى «العم صالح» يأتي كلّ يوم جمعة بمجموعة من الكتب ليبيعها في القرية. وكان من دأب سيّد أن يأخذ المال من أبيه ليشتري به كتاباً أو أكثر، ثمّ ينكبّ على قراءته بحرص وولع شديدين.

وفي بعض المرّات عندما لا يجد سيّد المال الكافي لشراء الكتب ـ إذ لم يكن الوضع المالي لأبيه بالمستوى المطلوب ـ كان يستعير الكتاب الذي يريده من العم صالح فيقرأه، ثمّ يردّه إليه في الأُسبوع المقبل.

ومن شدّة ولعه وحبّه للمطالعة نجده وهو بعد لم يتخط عمر الطفولة قد حفظ ديواناً من الشعر للشاعر «ثبات الجرجاوي» وكتاباً آخر في مجال التأريخ.

وبعد فترة أسّس مكتبة شخصيّة صغيرة لا يتجاوز عدد كتبها خمسة وعشرين كتاباً، وكانت هذه المكتبة الصغيرة هي المكتبة الوحيدة في قرية موشه آنذاك.

وبعد ستّ سنوات من الدراسة استطاع سيّد قطب في عام ١٩١٨م أن يجتاز المرحلة الابتدائيّة بتفوّق وبدرجة عالية.

سبق وأن أشرنا إلى أنّ الحاج إبراهيم والد سيّد قطب كان عضواً في حزب اللواء الوطني، ولذا كانت تقام ندوات ولقاءات في بيته كلّ أُسبوع، يتداول المشاركون فيها قضايا الساعة، سواء فيما يخصّ مصر أم العالم.

وكان سيّد قطب يحضر هذه الندوات بشكل متواصل، ويشاطر كبار القرية عملهم وهمومهم السياسيّة والحركيّة، وإبّان ثورة ١٩١٩م[1] كان سيّد إلى جانب

---

(١) الثورة المصرية عام ١٩١٩ م: ثورة سياسية مصرية هدفها المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا

←

أبيه يخطب بالناس، ويدعوهم إلى الجهاد، ويحثّهم على المقاومة، والحال أنّ عمره لم يكن يتجاوز (١٣) سنة.

وبسبب الاضطرابات الداخليّة التي أعقبت ثورة ١٩١٩م بمصر انقطع سيّد قطب عن الدراسة لمدّة سنتين[١].

السفر إلى القاهرة

في عام ١٩٢٠م سافر سيّد قطب إلى القاهرة لإكمال دراسته، واستقرّ في بيت خاله أحمد حسين عثمان، وكان أحمد يشتغل أُستاذاً في جامعة الأزهر إلى جانب ممارسته لمهنة الصحافة.

وفي عام ١٩٢٢م دخل معهد عبدالعزيز في القاهرة، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز ستّة عشر عاماً.

وكان المعهد تابعاً لوزارة التعليم والتربية، ومهمّته إعداد معلّمين للمرحلة الابتدائيّة.

بعد قرابة ثلاث سنوات ـ وذلك في عام ١٩٢٤م ـ أنهى يسّد قطب دورته في المعهد بنجاح باهر، ومنح من قبل المعهد إجازة تدريس في المدارس الابتدائيّة.

← وإجلاء قوّاتها المحتلّة. بدأت بمقابلة زغلول وعلي شعراوي وعبدالعزيز فهمي المندوب السامي البريطاني عقب هدنة الحرب العالمية الأُولى للسماح لهم بالسفر لعرض مطالب مصر على الحكومة البريطانية، ورفض هذا الطلب. تبع ذلك تأليف الوفد المصري عن طريق ما عرف بحركة التوكيلات التي قامت بدور التعبئة السياسية للمطالب الوطنية مع إظهار رضا الرأي العامّ عن تمثيل هؤلاء القادة له... (موسوعة السياسة ١: ٩٢٥ـ ٩٢٦).

(١) هذه المعلومات اقتبسناها من كتاب: «طفل في القرية» تأليف الأُستاذ سيّد قطب.

الشهادة التي حازها سيّد قطب كانت تؤهّله لأن يدخل في وزارة التربية والتعليم ويشتغل بأمر التدريس، إلّا أنّ رغبته العارمة في تحصيل المزيد من العلم والمعرفة حالت دون ذلك، فقرّر أن يكمل دراساته العليا.

وبناءً على ذلك في عام ١٩٢٥م دخل معهد دار العلوم، وبعد أربعة أعوام قضاها في الدراسة استطاع أن ينال شهادة الدبلوم في عام ١٩٢٩م. وفي نفس السنة اشترك سيّد قطب في امتحان الليسانس (الإجازة)، واستطاع أن يجتاز الامتحان بنجاح ليدخل جامعة دار العلوم.

وعندما كان سيّد قطب طالباً في الجامعة، كان الدكتور طه حسين[١] رئيساً لها، فراح سيّد قطب ينتقد بجرأة وشجاعة الوضع المتردّي الذي تعيشه الجامعة آنذاك على الصعيد العلمي والثقافي.

وبالرغم من حداثة سنّه عندما وجد أنّ آراءه ونظرياته لم تلق آذاناً صاغية عند المسؤولين، واجه الدكتور طه حسين بلهجة صريحة، وطالبه بأن يوكل مهمّة إدارة الجامعة إليه، وإنّه لو أوكل لـه هذا المهمّة فسيقوم بخطوات عديدة من شأنها أن ترفع المستوى العلمي للجامعة، فمثلاً سيعمل على تطوير مواد العربيّة والعلوم الدينيّة، ويجعل سنوات الدراسة ستّ سنوات، ويجعل درس اللغة الإنجليزية

---

(١) طه حسين: الأديب المصري المعروف. ولد في مصر العليا سنة ١٨٨٩ م، وفقد بصره وهو طفل صغير. درس في الأزهر، ثمّ في الجامعة المصرية، ثمّ في جامعة السوربون بباريس، ونال أعلى الدرجات العلميّة. وفي سنة ١٩٢٥ م عيّن أُستاذاً في الجامعة المصرية، ثمّ انتدب عميداً لها، ثمّ مديراً لجامعة الإسكندرية. وفي سنة ١٩٥٠ م أصبح وزيراً للتعليم. كان ذا ذكاء متوقّد وعناد ونهج جديد وعاطفة لا حدّ لها. له تراث أدبي وفكري ضخم، نذكر منه: الأيّام، في الأدب الجاهلي، مع أبي العلاء في سجنه، مستقبل الثقافة في مصر. توفّي عام ١٩٧٣م. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٢، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٣٣٥ ـ ٣٦٦).

درساً إلزامياً لجميع الطلبة؛ لاعتقاده بأنّ الطالب الذي لا يتقن اللغة الإنـجليزية سوف لا يستطيع أن يواكب العصر ومقتضياته.

وطبيعي أنّ مثل هذه الرؤى والأفكار هي مدعاة للإعجاب، خصوصاً إذا كانت تصدر من شابٍّ في مقتبل العمر، وهو سيّد قطب.

لقد كان ـ وخلافاً للكثير من طلبة الجامعة الذين يعلوهم الخمول والكآبة ـ فاعلاً ومجدّاً، لا يتهيّب من الدخول في مساجلات ومناقشات مع الأساتذة في كافّة المجالات العلميّة والاقتصاديّة، وكان أساتذة الجامعة ينظرون إلى سيّد قطب بعين ملؤها الإعجاب والسرور؛ لما يرون من ذكائه وجدّيته.

في عام ١٩٣٢م وعندما كان سيّد قطب طالباً في السنة الثالثة في الجامعة، نظّمت رئاسة الجامعة مؤتمراً شارك فيه سيّد قطب بمقالة أدبية تحت عنوان «مهمة الشاعر في الحياة.. شعر الجيل الحاضر». وبعد أن أتمّ سيّد قطب قراءته للمقالة، مدحه الأُستاذ محمّد مهدي علّام بقوله: «لو لم يكن لديّ سوى هذا الطالب لكفاني فخراً وسروراً؛ لأنّي مطمئن بأنّه سيتحمّل أمانة العلم والأدب بكفاءة. لقد أعجبتني جرأته وشهامته، وشخصيته المستقلّة جعلت منه شخصية محبّبة إلى قلوبنا. سيّد قطب هو مفخرة من مفاخر دار العلوم».

زملاء سيّد قطب في دار العلوم

١ ـ سعيد اللبّان، بعد أن أتمّ دراسته في الجامعة وحصل على الإجازة «الليسانس»، نصب رئيساً لجامعة دار العلوم، وصار فيما بعد وزيراً للتربية والتعليم.

٢ ـ محمّد إبراهيم جبر، بعد أن أنهى دراسته صار معلّماً، ثمّ مديراً للمدرسة.

وكان من أقرب وأعزّ أصدقاء سيّد قطب.

٣ ـ فايد العمدوسي، أديب وشاعر وكاتب ومؤرّخ مصري، أصدر سلسلة كتب حول تاريخ الإسلام وأعلام المسلمين.

٤ ـ عبدالعزيز عتيق، أديب وشاعر وكاتب وناقد، لـه تأليفات عديدة، منها ديوان «العتيق»، مع مقدّمة سيّد قطب.

في الجامعة مارس سيّد قطب نشاطات اجتماعية وسياسية مختلفة، ومـن خلال المعلومات التي اكتسبها عن طريق خاله حول حزب الوفد(١) انضمّ سيّد قطب إلى هذا الحزب، ونشر مقالاته في الصحيفة الناطقة باسمه.

في عام ١٩٣٣م تخرّج مـن كـلّية العـلوم حـائزاً عـلى شـهادة الإجـازة «الليسانس» في فرع الآداب واللغة العربية، وفي نفس العام ساهم في تأسـيس جمعية عرفت باسم «جمعية دار العلوم».

تهدف هذه الجمعية إلى الدفاع عن اللغة العربية وآدابها، وينتخب أعضاؤها من بين خرّيجي جامعة دار العلوم.

في عام ١٩٣٣م دخل سيّد قطب في السلك الوظيفي لوزارة التربية والتعليم المصرية، وعيّن في نفس السنة معلّماً في مدرسة الداوودية بمصر.

---

(١) حزب الوفد: حزب مصري قاد الحركة الوطنية الديمقراطية من عام ١٩١٩ م حتّى أواخر الأربعينات. تألّف في ١٣ / تشرين الثاني / ١٩١٨ م بعد مقابلة سعد زغـلول للـمندوب السامي البريطاني للمطالبة بالاستقلال، وقد قام هذا الحزب بدور تأريخي حاسم في توحيد المسلمين والأقباط وتكوين الجامعة السياسية الوطنية، ونجح في انتخابات عام ١٩٢٣ م، فشكّل الوزارة سنة ١٩٢٤ م، ومن رؤوسائه: سعد زغلول، مصطفى النحّاس، مكرم عبيد، محمّد صبري أبو علم، ثمّ حلّ هذا الحزبُ عام ١٩٥٣ م. (مـوسوعة السـياسة ٢: ٥٣٠ ـ ٥٣١).

وخلال ستّة أعوام قضاها في التدريس درّس سيّد قطب في مدارس عديدة، منها: مدرسة دمياط، وبني سويف، ومدرسة حلوان الابتدائية.

وفي عام ١٩٤٠م نقل إلى الإدارة المركزية لوزارة التربية والتعليم، كموظّف في الإدارة.

عمل في عدّة أقسام، وها هو ذكرها بالترتيب: قسم العلاقات العامّة، قسم الإحصاء، قسم التفتيش في المدارس الابتدائية.

في عام ١٩٤٥م استأنف عمله في قسم العلاقات العامّة، وبقي هناك إلى عام ١٩٤٨م.

الفصل الرابع :

رحلته إلى بيت الشيطان

السفر إلى أمريكا

دأب سيّد قطب أن ينظر إلى القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يرتهن بها وطنه بدقّة وموضوعية وتمعّن. والنتيجة التي توصّل إليها هي أنّ المشاكل التي تعصف بمصر من قبيل الفقر والفساد والتفاوت الطبقي وغير ذلك لها أسبابها وعواملها، والتي من جملتها:

١ ـ الاستعمار الإنجليزي الذي أطبق سيطرته على البلاد الإسلامية، بما فيها دولة مصر المسلمة.

٢ ـ الأحزاب والجماعات التي تدور في فلك الاستعمار الإنجليزي وتعمل لصالحه.

٣ ـ الحكومة المصرية التي جعلت من الاستعمار عوناً وسنداً لها وتأتمر بأمره ونهيه.

٤ ـ الرأسماليّون الذين لا يفكّرون بشيء سوى مصالحهم الفردية.

وقد نشر سيّد قطب العديد من المقالات حول هذه الموضوعات في عدّة مجلّات مصرية، وكان مصير كلّ مجلّة أو صحيفة تنشر مقالاً لسيّد قطب هو الغلق. وهذا ما حمل سيّد قطب على أن يبحث عن مجلّة أُخرى تنشر له مقاله الجديد.

هذا الوضع أقضّ مضاجع المسؤولين الحكوميّين، وأقلقهم، وجعلهم يفكّرون في طريقة حلّ أساسية للمشكلة. وبعد مدّة قرّروا أن يبعثوا سيّد قطب بمهمّة وظيفية إلى أمريكا.

الخطوة هذه التي قامت بها الحكومة المصرية توفّر لها أمرين:

الأول: إبعاد سيّد قطب عن الوسط العلمي والثقافي المصري، وبالتالي تفادي الخطر الناجم من التأثير الذي يتركه على الرأي العامّ لصالح الحركة الإسلامية الناهضة آنذاك.

الثاني: أن يقع سيّد قطب طيلة فترة إقامته في أمريكا تحت تأثير الثقافة الغربية، فيترك معاداة الغرب ليضحى متغرّباً.

هذان الأمران هما السبب من وراء حركة وزارة التعليم والتربية المصرية في إرسال سيّد قطب إلى أمريكا تحت عنوان التحقيق في المناهج التربوية في المدارس الأمريكية.

بتاريخ ١٩٤٨/١١/٣م المصادف لـ١٣٢٧هـش بدأ سيّد قطب رحلته من ميناء الإسكندرية باتّجاه أمريكا. في أثناء السفر كان يحدّث نفسه قائلاً: «تريد الذهاب إلى أمريكا؟ تذهب إلى بلد لا همّ لساكنيه سوى الأكل والنوم؟ هل تريد أن تقتفي أثرهم هذا وترتع في الملاهي والملذّات؟ أو أنّك مصمّم أن تبقى ذلك المسلم الصامد المقاوم؟»، ثمّ يجيب على تساؤلاته بنفسه: «هذا اختبار إلهي؛ ليتبيّن هل ما أقوله هو مجرّد دعاوى ومزاعم، أو أنّني صادق وملتزم بكلّ ما أدّعيه؟».

وفي الطريق وقعت له أحداث ومجريات، منها: أنّه في مسيره إلى مكّة وعلى متن السفينة شاهد في ظهيرة يوم جمعة مبشّراً مسيحياً راح يبلّغ للمسيحية ويبشّر بتعاليمها، وقد أحاط به جمع من المسلمين وهم ينصتون لحديثه! فاستاء سيّد قطب من هذا المشهد بشدّة وقرّر أن يقوم بعمل ما، فوقف على متن السفينة وأخذ يتحدّث، فما أن رآه المسلمون حتّى اجتمعوا حوله وتركوا ذلك المبشّر

المسيحي، وبعد أن أنهى الخطبة صلّى بالناس جماعة، وبعد الصلاة جاءته امرأة مسيحية من الأرمن وأثنت عليه شاكرة له حديثه.

ويرى سيّد قطب أنّ التأثير الذي تركته خطبته في نفس هذه المرأة المسيحية إنّما هو بسبب إعجاز القرآن، هذا الإعجاز الذي استحوذ على قلوب ونفوس من هم ليسوا بعرب.

حادثة أُخرى مثيرة وقعت له في رحلته تلك: ففي الليل وعندما كان مستلقياً في غرفته يستريح إذا بباب الغرفة يفتح وتطلّ عليه أمرأة نصف عارية تستأذنه أن تقضي تلك الليلة معه في الغرفة! فأراد أن يتخلّص منها معتذراً بأنّ الغرفة لا تسع لأكثر من شخص واحد، فأجابته المرأة بكلّ وقاحة وصلافة بأنّ السرير المخصّص لنفر واحد، يتحمّل شخصين! فما كان من سيّد قطب إلّا أن أغلق باب الغرفة بوجهها بشدّة وعصبية[1].

ما أن دخل سيّد قطب «نيويورك» حتّى شرع بالمهمّة الموكلة إليه، فكان يذهب في كلّ يوم إلى المدارس الأمريكية، ويحصل على المعلومات اللازمة حول النظام التعليمي هناك. وعندما تسنح له فرصة يخلو فيها مع نفسه تجده يلجأ إلى الشعر، فأنشد هناك قصيدتين، هما «هتاف الروح» و«دعاء الغريب».

أقام سيّد قطب حوالي عامين في أمريكا، ومن خلال وسائل الإعلام المتوفّرة لديه من قبيل الصحف والإذاعة والتلفاز وبما أُوتي من شامّة سياسية قوية أدرك أنّ أمريكا تسعى للحدّ من نفوذ وهيمنة إنجلترا على العالم؛ لتتولّى هي

---

(١) كتب سيّد قطب مجموعة مشاهدته وذكرياته عن رحلته إلى أمريكا في كتاب سمّاه «أمريكا التي رأيت»، ولكن وللأسف لم يطبع، ونشرت بعض فصوله بصورة متناثرة في الصحف وفي كتبه الأُخرى.

بنفسها عملية استعمار الدول العربية والإسلامية[١]، فأخذ على نفسه أن يقوم بتوعية الناس وجيل الشباب خاصّة وفضح المشروع الأمريكي بمجرّد أن يرجع إلى وطنه مصر.

العودة إلى الوطن

في تاريخ ٢٣/٨/١٩٥٠م عاد سيّد قطب إلى مصر وشغل منصب معاون مكتب وزير التعليم والمعارف في ذلك البلد.

رحلته إلى أمريكا لم تبتعد به عن أهدافه وتطلّعاته، بل جعلته أكثر عزماً وتصميماً في مكافحته للاستعمار.

وعندما رأى أنّ النضال الثقافي من داخل الجهاز الحاكم لا يجدي نفعاً قدّم استقالته إلى الوزارة بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢م، وأعلن عن عدم استعداده لمواصلة العمل في الوزارة.

لم تقبل استقالته لمدّة عامين، وفي تاريخ ١٣/١/١٩٥٤م قبلت استقالته.

---

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٢١١.

الفصل الخامس :

في خندق الصحافة

سيّد والصحافة

منذ باكورة عمره كان سيّد قطب يمارس الكتابة في الصحف ويحبّ العمل الصحافي حبّاً جمّاً. يسأله أحدهم: أيّهما أحبّ إليك الصحافة أو التعليم؟ فيجيب: «والله لا أعلم أيّهما أحبّ إليّ؟ وأيّهما سيغلب الآخر ويكون هو مهنتي في المستقبل. لقد ترعرعت ونشأت بين الصحيفة والمدرسة، وأحبّهما معاً. ولكن على كلّ حال أُرجّح المدرسة ومهنة التعليم على الصحافة».

في عام ١٩٢٢م وعندما كان سيّد قطب لـه من العمر ستّة عشر عاماً نشرت صحيفة «البلاغ» أوّل مقال له. وعلى طول خمس وعشرين سنة بقي سيّد قطب في تواصل مع الصحف والمجلّات يرفدها بنتاجاته العلمية، حتّى جاء عام ١٩٥٤م حيث أُودع السجن.

في البداية كان يكتب في صحف معروفة، من قبيل: «البلاغ، البلاغ الأُسبوعي، الجهاد، الأهرام» بصورة مستمرّة وبلا انقطاع[١].

كان دائماً متميّزاً في طرحه ودقّة معالجاته وطريقة تعاطيه مع الموضوعات التي يتناولها، ويبدو مثيراً للإعجاب في كلّ ذلك.

وهذا ما حمل الدكتور علي أحمد عامر أن يثني عليه في إحدى مقالاته في

---

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٩٨.

مجلّة «الأُسبوع» بتاريخ ١٩٣٤م؛ لما يتميّز به سيّد قطب من العلم الغزير، والدقّة في الفهم، وغزارة الإنتاج، ولجهوده في مجال الأدب والنقد والشعر، فهو محلّ إعجاب واعتزاز(١).

وفي سنّ الأربعين بدأ سيّد قطب مشواراً جديداً في حياته العلمية والجهادية ذا طابع حركي وثوري إسلامي، وكان يكتب في صحف ودوريات، نظير: «الكتاب المصري، الكتاب، الشؤون الاجتماعية».

وبعد مدّة راح يكتب في مجلّة «اللواء الجديد» الصادرة عن الحزب الوطني المصري / فرع الشباب، ولكن بعد مدّة وجيزة تمّ إغلاق هذه المجلّة بسبب الانتقاد اللاذع الذي وجّهه سيّد قطب للاستعمار وللدولة المصرية بسبب مداهنتها للاستعمار.

إغلاق مجلّة «اللواء الجديد» لم يفت من عزم وإصرار سيّد قطب في مواصلة درب الكفاح، فاستمرّ في نشاطه بعنوان رئيس تحرير وكاتب لمجلّة «الدعوة».

انصبّت مقالاته التي كان يكتبها في هذه المجلّة على دعوة الشعب إلى الثورة وتغيير نظام الحكم وتأسيس حكومة إسلامية، ولم يدم عمر هذه المجلّة طويلاً، حيث تم إغلاقها من قبل النظام الحاكم. فلم ييأس سيّد قطب وأصدر مجلّة أُخرى بمساعدة يوسف شماتة، تحمل عنوان: «العالم العربي». في هذه المجلّة شغل يوسف شماتة منصب المدير المسؤول، فيما شغل سيّد قطب منصب رئيس

---

(١) هذا نقل بالمضمون لكلام الدكتور علي أحمد عامر.

التحرير[١].

وأوّل خطوة قام بها سيّد قطب عند تصدّيه للعمل في هذه المجلّة أنّه تبنّى التاريخ الهجري القمري بدلاً عن التاريخ الميلادي، خلافاً للعرف السائد آنذاك بين جميع المجلّات والصحف المصرية.

حرص سيّد قطب على نشر التحاليل السياسية لأبرز المفكّرين والساسة العرب. وبالإضافة إلى ذلك أخذ يكتب بنفسه مقالات ينتقد ويندّد فيها بالسياسة التي اتّخذتها أمريكا آنذاك تجاه العرب.

بعد صدور العدد الرابع من هذه المجلّة ونتيجة الاختلافات التي برزت بين سيّد قطب ويوسف شماتة، اعتزل سيّد قطب منصب رئاسة تحرير المجلّة.

في عام ١٩٤٨م قام سيّد قطب وبالتنسيق مع جمعية «الإخوان المسلمين» بإصدار مجلّة «الفكر الجديد». اتّخذت هذه المجلّة منحىً ثورياً يدافع عن الإصلاحات، كما يدعو إلى حركة تصحيح وتغيير في الأساليب المتّبعة من قبل الحاكم.

وتعدّ مقالات سيّد قطب في هذه المجلّة من أشدّ المقالات حماساً وأقواها.

وإليك عزيز القارئ بعض العناوين التي تصدّرت مقالات سيّد قطب:

«تحرّروا يا عبيد الأمريكان والروس والإنجليز»، «يا شباب الوادي، تأهّبوا واستعدّوا»، «فلنؤمن بأنفسنا»، «أفخاذ ونهود».

حسبك أنّ العناوين حادّة وشديدة، ناهيك عن مضامين تلك المقالات.

---

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ١٠٣.

ومع الإصرار الذي أبداه سيّد قطب في اتّخاذ المواقف الثورية تمّ إغلاق هذه المجلّة أيضاً.

في عام ١٩٥٤م قامت جمعية: «الإخوان المسلمين» بإصدار مجلّة باسم «الإخوان المسلمون»، وانتخب سيّد قطب رئيساً لأُسرة التحرير. وكانت المجلّة تصدر أيّام الخميس من كلّ أُسبوع. وقد صدر العدد الأوّل بتاريخ ١٧ / رمضان / ١٣٧٣ هـ. فكان سيّد قطب يحرص على نشر أفكاره ورؤاه الثورية والإسلامية في هذه المجلّة أكثر من أيّ وقت آخر.

وبعد صدور اثني عشر عدداً صدر قرار من الحكومة بإغلاق المجلّة، وذلك بتاريخ ٦ / ذي الحجّة / ١٣٧٣ هـ.

وهذا كان خاتمة نشاط سيّد قطب في المجال الصحفي، حيث اعتقل في نفس السنة وأُودع السجن.

والجدير بالذكر أنّ سيّد قطب وخلال خمس وعشرين عاماً من النشاط الصحفي كتب ٤٥٥ مقالاً وقصيدة في مختلف المجلّات والصحف المصرية[١].

الصحافة من وجهة نظر سيّد قطب

لقد قضى سيّد قطب شطراً كبيراً من عمره في العمل الصحفي، وكان في تواصل مع عدد كبير من الصحف والمجلّات على مستوى كتابة المقالات. وقد اكسبه العمل في الصحافة خبرة واسعة ومشاهدات وملاحظات متنوّعة حول عالم

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ١٠٩.

الصحافة والصحف والمجلّات.

وممّا يثيره أنّ البعض من أرباب الجرائد والمجلّات كانوا يمتنعون عن نشر مقالاته، فاكتشف بعد مدّة أنّ هناك بعض الصحف المرتبطة بالأجانب، فكتب مقالاً أسماه «الدولة تخفق الأدب». في مقالته هذه يرى سيّد قطب أنّ الصحافة المصرية ـ إلّا ما شذّ وندر ـ هي مؤسّسات حكومية، وليست مصرية ولا عربية، بل مؤسّسات تستقي أخبارها من الدوائر المخابراتية والتجسسية في بريطانيا وأمريكا وفرنسا. هؤلاء هم في خدمة الاستعمار الأجنبي قبل أن يكونوا في خدمة الوطن والشعب المحروم. والحكومة المصرية لا شأن لها بمثل هذه الصحف والمجلّات، وذلك لأنّها تسعى أن تكون في خدمة مصالح الاستعمار العالمي[١].

في كتابه «رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر» ينقل يوسف العظم ـ وهو من أصدقاء سيّد قطب المقرّبين ـ موقفاً معبّراً في نقد الإعلام العربي في ندوة ضمّت شخصيات أدبية كبيرة، من قبيل: حافظ محمود، وسيّد قطب، وآخرين، وكنت أنا من الحاضرين في تلك الندوة. موضوع الندوة يدور حول الإعلام وأثره في صناعة الرأي العامّ، فهل الإعلام يصنع الرأي العامّ، أو أنّ ما تطرحه وسائل الإعلام هو في الواقع رأي الشعب والإعلام يتبنّى قضايا الشعب؟ كلّ واحد من الحاضرين في تلك الندوة أدلى بدلوه وعبّر عن رأيه، حتّى وصلت النوبة إلى سيّد قطب، فعبّر عن رأيه قائلاً: «باعتقادي لا الصحف لها تأثير على الرأي العامّ المصري، ولا الرأي العامّ المصري استطاع أن يؤثّر على الصحف والمجلّات،

(١) المصدر السابق: ١١١.

العامل المؤثّر في كلا المجالين هو الأموال!»[١].

كم كان كلام سيّد قطب دقيقاً وصادقاً في نفس الوقت! لقد كان دائماً صريحاً في كلامه بعيداً عن المحاباة والمجاملة.

(١) المصدر السابق: ١١٣.

الفصل السادس :

شخصيات مؤثرة في حياته

بعض أساتذة سيّد قطب

ثمّة شخصيات علمية ساهمت إلى حدّ كبير في بناء الشخصية الفكرية لسيّد قطب. وهنا نشير إلى بعض هذه الشخصيات العلمية، والتي منها:

١ ـ أبو الأعلى المودودي.

يعدّ أبو الأعلى المودودي أحد كبار المفكّرين الباكستانيّين ممّن يعتقد بضرورة تأسيس الجامعة الإسلامية ومقارعة الاستعمار[1]. أسّس في عام ١٩٤١م حزباً إسلامياً في الهند، باسم «الجماعة الإسلامية» يماثل بدرجة كبيرة تنظيم «الإخوان المسلمين» في مصر[2].

له مؤلّفات عديدة حول الإسلام، نذكر هنا عدداً منها: «الإسلام اليوم، منهاج الانقلاب الإسلامي، الحكومة الإسلامية، الإسلام والمدينة، تدوين الدستور، المصطلحات الأربعة في القرآن».

في السجن قرأ سيّد قطب للمودودي وتعرّف على أفكاره ورؤاه. وممّا لا شكّ فيه أنّ لأفكار وآراء المودودي تأثيراً كبيراً على ذهنية ونمط تفكير سيّد قطب.

---

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ١٠٩.

(٢) راجع فصول حياته في عظماء الإسلام: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

ولهذا بعد أن أُلقي القبض على سيّد قطب سئل: هل اقتبست أفكارك من أبي الأعلى المودودي؟ فأجاب: «إنّ فكري ورأيي هو فكر ورأي المودودي».

والذي يبدو لقارئ تراث وأفكار المودودي أنّ سيّد قطب قد آمن بآراء وأفكار المودودي إيماناً راسخاً، وهنا نشير إلى مقتطفات من مدرسة المودودي:

حول القانون يكتب المودودي: «فالقانون لابدّ أن يكون قانون الله، والتشريع لابدّ أن يكون لله. أمّا إذا كان التشريع بشرياً والقانون كذلك، وبعبارة جامعة: إذا كانت الحاكمية التشريعة لغير الله، فإنّ ذلك يعني أنّ المجتمع يعيش في جاهلية»(١).

وحول علاقة الدين بالسياسة يقول المودودي: «إنّكم لا تستطيعون الفصل بين أُمور الدين وبين أُمور الدنيا؛ لأنّ الدنيا والآخرة في نظر الإسلام مرحلتان من مراحل الحياة المتّصلة التي لا تنقطع. أُولاهما: مرحلة السعي والعمل، وثانيهما مرحلة النتائج، وهدف الإسلام تنظيم العقل وإعداده إعداداً يمكنه من معالجة المرحلة الأُولى بأُسلوب سليم يأتي بنتائج موفّقة في المرحلة الثانية»(٢).

من وجهة نظر أبي الأعلى المودودي فإنّ الإسلام دين كامل، وعليه فإن سلك الإنسان في قضاياه السياسية والاقتصادية مسلكاً لا يتّفق مع خطّة الإسلام الحاكمة، فإن صنيعه هذا يعتبر ارتداداً جزئياً يفضي به إلى ارتداد كلّي نهائي. وهيهات أن يكون المسلمون مسلمين دون أن ينفّذوا شرع الله وقانونه في كلّ أُمور حياتهم(٣).

---

(١) فلسفة المشروع الحضاري ١: ٥١٤.

(٢) المصدر السابق ١: ٥١٥.

(٣) راجع المصدر نفسه ١: ٥١٥ وما بعدها.

٢ ـ عبّاس محمود العقّاد.

بعد مجيئه إلى القاهرة تعرّف سيّد قطب على الأديب الكبير عبّاس محمود العقّاد من خلال خاله أحمد حسين عثمان، وتأثّر بأفكاره. وثمّة قواسم مشتركة تربط بين سيّد قطب وعبّاس محمود العقّاد، هي من قبيل:

١ ـ كلاهما من مصر.

٢ ـ كلاهما أديب وشاعر وناقد.

٣ ـ كلاهما كاتب.

٤ ـ كانا لمدّة طويلة في حزب الوفد، ثمّ خرجا من هذا الحزب.

٥ ـ كلاهما لم يتزوّج إلى آخر العمر.

٦ ـ كلاهما يحمل فكراً إسلامياً، إلّا أنّ منهج عبّاس محمود العقّاد هو منهج نظري بحثي صرف، وأمّا سيّد قطب فمذهبه علمي جهادي ثوري.

٧ ـ لكلّ واحد منهما مؤلّفات انتشرت في شرق العالم الإسلامي وغربه.

تجدر الإشارة إلى أنّ سيّد قطب درس مدّة في المدرسة العقّادية، والتي يشرف عليها عباس العقّاد نفسه، وهنا تعرّف على أفكار ومعتقدات العقّاد، وقام فيما بعد بدراسة ونقد لبعض تأليفاته في الأدب.

وعندما انضمّ سيّد قطب إلى حركة «الإخوان المسلمين» بشكل رسمي عام ١٩٥١م هاجم العقّاد سيّد قطب بشدّة؛ إذ من المعروف أنّ العقّاد كان على خلاف مستحكم مع حركة «الإخوان المسلمين».

وفي عام ١٩٤٦م نشر العقّاد مقالاً تحت عنوان: «إدارة الغفلة»، نال فيها من

سيّد قطب وتهجّم عليه قائلاً بالمضمون: «بأنّ انتساب سيّد قطب إلى حركة الإخوان بمعنى: أنّ سيّد قطب قد ألغى عقله وفكره!»، وبصدور هذا المقال وقع التقاطع بين سيّد قطب والعقّاد، وصار لكلّ واحد منهما طريقه ومنهجه الذي لا يلتقي بالآخر[1].

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ١٤٦.

الفصل السابع :

أفكاره

أفكاره (*)

(*) تطوّر فكر الشهيد: لقد تطوّر فكر الشهيد سيّد قطب تبعاً لتطوّر حياته واهتماماته:

أ ـ فقد ظلّ مهتمّاً بالنواحي الأدبية إلى نهاية الأربعينات، وكان من مدرسة العقّاد؛ لهذا كانت دراسته للقرآن الكريم في هذه الفترة مقتصرة على النواحي الفنّية الجمالية، فنشر في مجلّة «المقتطف» مقالين بعنوان: «التصوير الفنّي في القرآن الكريم» في عددي فبراير ومارس، سنة ١٩٣٩م.

وفي عام ١٩٤٥ م ألّف كتابه «التصوير الفنّي في القرآن»، وهو يمثّل المنهج الجمالي الفنّي في القرآن الكريم.

وفي عام ١٩٤٧ م أصدر كتابه الثاني «مشاهد القيامة في القرآن»، وهو يتناول التصوير الفنّي في مشاهد القيامة من النعيم والعذاب.

وكان قد أعلن عن إصدار كتب أُخرى في هذا المجال الفنّي، وهي: «القصّة بين التوراة والقرآن»، و«النماذج الإنسانية في القرآن»، و«المنطق الوجداني في القرآن»، و«أساليب العرض الفنّي في القرآن».

ولكنّه عدل عن ذلك، حيث تغيّرت اهتماماته وتطوّر منهجه من المنهج الجمالي إلى المنهج الفكري.

ب ـ بدأ ينشغل بالنواحي الفكرية في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، حيث جذبته دعوة الإخوان المسلمين للاهتمام بالأُمور الفكرية والإصلاحية، وذلك على أساس من المنهج الإسلامي.

فأصدر مجلّة «الفكر الجديد» بتمويل من أحد الإخوان المسلمين، وهو الحاج محمّد حلمي المنياوي، صاحب دار الكتاب العربي. ولقد ضاقت بها الحاشية الملكية؛ لهجومها على الإقطاع، والباشوات، والرأسمالية، وعلى أصحاب النفوذ جميعاً، فأغلقتها الحكومة المصرية بعد صدور اثني عشر عدداً منها.

←

→ كما أصدر كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، فاعتبرته الأحزاب الشيوعية عدوّها الأوّل، حيث يسحب البساط من تحت أقدامها، ويوجّه المفكّرين والمثقّفين والجماهير إلى منهج آخر للإصلاح، وذلك لتطبيقه في عالم الواقع، ذلك هو المنهج الإسلامي.
وقد اعتبرته الحكومة المصرية والملك فاروق الأوّل انتصاراً للتيّار الإسلامي الذي يمثّله الإخوان المسلمون الذين كانوا في محنتهم الثانية بعد اشتراكهم في الحرب ضدّ اليهود في فلسطين، ممّا ظنّه القصر وحماته خطراً على النظام الملكي؛ بما ناله الإخوان من شعبية، وبالتحالف الذي تمّ بينهم وبين الجيش في خلال حصار الجيش المصري في الفالوجا، وهو ما تمخّض عنه ثورة يوليو ١٩٥٢ م.
كما أصدر كتابه «السلام العالمي في الإسلام»، وكتابه «معركة الإسلام والرأسمالية».
كما بدأ في إصدار كتابه «في ظلال القرآن الكريم»، بدأه بمقالات في مجلّة «المسلمون» التي كانت تصدر شهرياً برئاسة سعيد رمضان في نهاية عام ١٩٥١ م، وبعد سبعة أعداد توقّف معلناً أنّه سيصدر الكتاب في أجزاء مستقلّة، فظهر الجزء الأوّل في أكتوبر ١٩٥٢ م، وتوالت الأجزاء الأُخرى، وكلّها كانت خواطر ووقفات وتأمّلات لا صلة لها بالأحكام الفقهية.
يقول في مقدّمة الطبعة الأُولى: «فقد يرى فريق من قرّاء هذه الظلال أنّها لون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق أنّها عرض للمبادئ العامّة كما جاء بها القرآن، وقد يرى فريق ثالث أنّها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع وبيان الحكمة في ذلك الدستور. أمّا أنا فلم أتعمّد شيئاً من هذا كلّه، وما جاوزت أن أُسجّل خواطري وأنا أحيا في تلك الظلال».
جـ ـ ظلّ المنهج الفكري سالف الذكر، حتّى كانت مسرحية حادث المنشية في نهاية ١٩٥٤ م، والذي اتّهم فيه الإخوان المسلمون بمحاولة اغتيال جمال عبدالناصر، فاعتقل سيّد قطب ضمن آلاف الإخوان المسلمين، وذلك على الرغم من أنّه كان من أخلص المستشارين لجمال عبدالناصر ورفاقه، ومقالاته بعنوان «فئران السفينة» تبيّن مدى إخلاصه لهم وتحذيرهم من المنافقين الذين سمّاهم بهذا؛ لأنّ ما يهمّهم هو خيرات السفينة، ولا يهمّهم من هو ربّانها.
وقد حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقّة.

←

← وبعد توقّف التعذيب البدني في السجن بدأ يعيد النظر في هذه النكبات والمحن التي تعدّ للإسلاميّين في أكثر البلاد العربية والإسلامية.
ولماذا يتنكّر الحكّام والساسة للمخلصين الصادقين ويتحالفون مع المنافقين والكذّابين؟!
ولماذا تسكت الجماهير، بل يساق فريق منها للهتاف والتصفيق للطغاة والجلّادين؟!
أعاد سيّد قطب قراءته للقرآن الكريم بهذه الخواطر والاهتمامات، وقارن بين طبيعة الخلاف والصراع بين الإسلام والجاهلية خلال حياة الأنبياء والرسل، فكان منهجه الأخير في «الظلال» وفي «معالم في الطريق»، يركّز هذا المنهج على الصراع بين الأنبياء والرسل وبين الملأ من الجاهلين في عصور التاريخ، ويركّز على الواقع العملي في حياة صحابة رسول الله ﷺ، والذي يسمّيه: «جيل قرآني فريد»، ويتكلّم عن الجماعة المسلمة وتصوّرها ومواجهتها للجاهلية، ويتكلّم عن الأُمّة الإسلامية ومواقفها من المجتمع الجاهلي، ويؤكّد أنّ أعداء الإسلام يحاربونه في معاركهم الثقافية والحركية من خلال تجمّع حركي، وليس من خلال شتات وتفرّق.
لهذا يجب الاسترشاد بموقف الصحابة وحركتهم بالقرآن الكريم في مكّة والمدينة؛ ليعاد صياغة الجماعة المؤمنة والأُمّة الإسلامية من جديد.
وهو في هذه المصطلحات كلّها لا يصدر أحكاماً بالكفر والإيمان على المسلمين القاعدين أو المنافقين، ولا يعني بالجماعة إلّا مجتمع المسلمين أو الأُمّة الإسلامية تحت قيادة حاكم مسلم يلتزم بإسلامه.
إنّه يدعو في «ظلاله» الأُمّة الإسلامية إلى التميّز بخصائصها ومميّزاتها التي بينها القرآن، وإلى أن تكون صورة عملية واقعية لمبادئ القرآن وقيمه، وإلى أن تقوم بمسؤوليتها وتؤدّي مهمّتها التي رسمها القرآن، وإلى تبوّأ مكانتها القيادية في واقع البشرية.
ففي «الظلال» في مقدّمة الطبعة المنقّحة بيّن أهمّ نتيجة خرج بها من حياته في «ظلال القرآن»، وهي: «لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة، إلّا بالرجوع إلى الله...».
وهذا الرجوع لايتحقّق إلّا بالاحتكام إلى منهج الله، وتحكيم كتاب الله في الحياة كلّها، وردّ
←

سيّد قطب يدافع عن الإخوان

منذ عام ١٩٥٢م وحتّى عام ١٩٦٤م ـ وهي الفترة التي عمل فيها سيّد قطب

← الحاكمية إلى الله.

وبيّن أنّ شقاوة البشرية الآن سببها الوحيد هو تنحية الإسلام عن قيادة البشرية، ولهذا يدعو بحرارة وإلحاح الأُمّة المسلمة إلى الرجوع إلى ربّها، والعودة إلى تعاليم دينها، ولتبوءها مكانتها المرموقة.

ولمّا تحدّث عن الحكمة من اختصاص المسلمين بقبلة خاصّة ودلالتها على تميّز الأُمّة المسلمة، ركّز على تميّز الأُمّة بطبيعتها ووظيفتها ومكانتها. والجماعة المسلمة التي تتّجه إلى قبلة مميّزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتّجاه. إنّ القبلة ليست مجرّد مكان أو جهة تتّجه إليها الجماعة في الصلاة، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز، رمز للتميّز والاختصاص.

وكمظهر لتميّزها، وكطريق لقيامها بمهمّتها في حياة البشرية، يدعو إلى التلقّي في كلّ حياتها عن الله وحده، وعدم التلقّي عن أحد من البشر، وطاعة الله وحده، وعدم طاعة أحد من البشر، واتّباع طريق الله وحده، وعدم اتّباع طريق أحد من البشر؛ لأنّها إن أخذت في شيء من ذلك عن أحد من البشر فإنّها ستسقط عن عين الله، ولا تمثّل الأُمّة التي يخرجها القرآن كما يريد الله.

إنّه يعتبر نشأة الأُمّة المسلمة بسماتها المتميّزة وظهور الجماعة المسلمة بواجبها المتميّز ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته، علاوة على كونه شرطاً أساسياً لوجودها الفعلي كأُمّة ذات شخصية وكيان وطبيعة وحضارة.

إنّ وجود هذه الأُمّة ضرورة لحياة الإسلام كمنهج لله سبحانه، فهي «الوسط الذي يتنفّس فيه هذا المنهج، ويتحقّق في صورته الواقعية»؛ لأنّ التصوّر الإسلامي عن الوجود والحياة لا يعيش إلّا في وسط حي متفاعل معه، وهكذا عاش في الجماعة المسلمة الأُولى، ذات قيادة مطاعة هي قيادة الرسول ﷺ، وذات التزامات جماعية بين أفرادها، وذات كيان يميّزها عن سائر الجماعات حولها، وذات آداب تتعلّق بضمير الإنسان، تُراعى فيها في الوقت ذاته حياة هذه الجماعة، وذلك كلّه قبل أن تقوم الدولة المسلمة في المدينة، بل إنّ قيام تلك الجماعة كان هو وسيلة إقامة الدولة في المدينة. (فكر سيّد قطب في ميزان الشرع: ٩ ـ ١٤).

كناشط ضمن حركة «الإخوان المسلمين» ـ عدّ سيّد قطب العقل المفكّر للحركة، فكان المدافع عنها دوماً في مقابل الذين ينتقدون مسار هـذه الحـركة المـعادية للاستعمار.

كان يرى في هذه الحركة أنّها قد أحيت مصر، وأعادت للـجهاد مـفهومه الحقيقي، بعد أن توهّمه الناس عبارة عن مجرّد شعارات وتصفيق، بل هو العـمل والتضحية. كما أعطى للصراع أبعاداً جديدة على أرض الواقع يصل في ذروته إلى الاستشهاد في سبيل الله[١].

المقاطعة السياسية للعدوّ

يرى سيّد قطب أنّه يجب فرض مقاطعة سياسية واقتصادية ضدّ أيّ جماعة أو دولة تهاجم إحدى البلدان الإسلامية.

حول هذا الموضوع يرى سيّد قطب أنّ كلّاً من بريطانيا وأمريكا وبالتعاون مع روسيا قد ساهمت في طردنا ـ نحن المسلمين ـ من أرضنا الإسلامية، وطبعاً فإنّ كلّ بلد إسلامي هو وطننا، بدورها حاربتنا فرنسا في شمال أفريقيا، وساهمت في تعذيبنا واضطهادنا والكيد لديننا.

من هنا فإنّ أيّ نوع معاهدة وأيّ تعاون مع هذه الدول مـن وجـهة نـظر الإسلام غير شرعي وحرام. وطبعاً فإنّه لا يحقّ للمسلمين أن يتعاونوا مع الحكومة في عمل غير مشروع وحرام، بل يجب أن يحاولوا منع الدولة من ارتكاب مـثل

---

(١) إشارة إلى عشرة آلاف شابّ مسلم قامت حركة «الأخوان المسلمين» بإعدادهم وتعبئتهم وتسليحهم دفاعاً عن الإسلام وعن أراضيهم المغتصبة وضدّ الكيان الصهيوني. راجع كتاب «دراسات إسلاميّة».

هذه الأعمال الحرام[١].

مقاطعة العدوّ اقتصادياً

دعا سيّد قطب جميع الشركات الإسلامية إلى قطع علاقاتها الاقتصادية بأعداء الإسلام.

في هذا الخصوص يكتب سيّد قطب قائلاً: «كلّ شركة مالية وكلّ مؤسّسة وكلّ عنصر يتعامل مع هذه الدولة الاستعمارية ويساعدها يكون قد عمل خلاف مشيئة الله، وتآمر على المسلمين، وساهم في أذاهم»[٢].

في مواجهة الغرب

كسائر مفكّري العالم الإسلامي ـ نظير السيّد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) وآية الله الكاشاني ومحمّد عبده وإقبال اللاهوري[٣] والكواكبي[٤] ـ

(١) ما چه ميگوييم: ١٠١ (الترجمة الفارسيّة لكتاب دراسات إسلاميّة).

(٢) المصدر السابق: ١٠٠.

(٣) محمّد إقبال اللاهوري: فيلسوف هندي معروف. ولد في البنجاب سنة ١٨٧٣ م، وقيل: سنة ١٨٧٦ م. درس في كمبردج ببريطانيا الفلسفة، وتخصّص بالحقوق. وفي سنة ١٩٠٧ م سافر إلى ألمانيا، حيث نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة، وعاد إلى لاهور وعلّم الفلسفة لبعض الوقت، ثمّ نذر نفسه لممارسة مهنة المحاماة. سافر لحضور المؤتمرات السياسيّة إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وفلسطين. من مؤلّفاته: أسرار الأنا، صوت جرس القوافل، أغاني فارسيّة، المسافر. توفّي في سنة ١٩٣٨ م. (موسوعة المورد ٥: ٢٠٣، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ١٠٩).

(٤) عبدالرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي: من رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلّم في

←

يكنّ سيّد قطب عداءً شديداً للثقافة الغربية، ويوجّه نقداً لاذعاً للفكر الغربي وللأخلاق الغربية. في مقال له يحمل عنوان: «عود إلى الشرق» نشرته مجلّة «العالم العربي»، يصف فيها الثقافة الغربية بأنّها ثقافة حيوانية.

يرى سيّد قطب أنّ الحياة الغربية أكثر متعة ولذّة وتتوافر على حظّ أكبر من أسباب الراحة، ولكنّها ـ أي: الحياة الغربية ـ من المنظور الإنساني متدنّية للغاية. في الحياة الغربية المرأة متحرّرة من كلّ قيد، إنّها حياة أحطّ شأناً من حياة الحيوان؛ لأنّها تقتصر على إشباع الغرائز الجنسية. الغرب أرض الحريّة، ولكن حريّة الجسد لا الروح، الحريّة الحيوانية لا الحريّة الإنسانية.

ثمّ يعقد فصلاً في بيان أوجه الاختلاف بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق، يقرّر فيه أنّ كلّ من يطلب إشباع لذائذه الحيوانية بحرّية وبسهولة فهذا شيء موجود في الغرب، وأمّا من يطلب حرّية الإنسان فليقصد الشرق، حيث حرّية الروح تفوق كلّ لذّة جسدية.

المجتمع الجاهلي والمجتمع الإسلامي(*)

← حلب، وأنشأ فيها جريدة «الشهباء»، فأقفلتها الحكومة، وأنشأ أيضاً جريدة «الاعتدال»، فعطّلت، وأُسندت إليه مناصب عديدة، وحنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع أمواله، فرحل إلى مصر، وساح في بعض البلاد، واستقرّ في القاهرة، إلى أن توفّي فيها ـ قيل: توفّي مسموماً ـ سنة ١٣٢٠ هـ. له من الكتب: طبائع الاستبداد، أُمّ القرى، وغيرهما. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٨، معجم المؤلّفين ٥: ١١٥).

(*) **المنهج الغائب** : لقد وقع بعض الناس في أخطاء باعتقادهم أنّ ما أورده سيّد قطب عن جاهلية المجتمع تعني كفر المسلمين في عصرنا، ورتّبوا على ذلك نتائج متباينة كما رأيت.

←

← كما وقع بعض الباحثين في أخطاء جسيمة بالحكم على المؤلّف من خلال أقوال بعض الشباب؛ حتّى وضع أحدهم [وهو عبد الله أبو عزّة] له قاموس اتّهامات، هي:
١ ـ اتّهموه بتكفير المسلمين، وإن صلّوا وصاموا وحجّوا، باستثناء أعضاء التنظيم.
٢ ـ حكم أنّ مجتمع المسلمين دار حرب، ويجب أن يحارب أهلها، وأن نعمل على هدمها، وألّا نمدّها بأسباب الحياة.
٣ ـ أمر بعزلة المجتمعات، عزلة بالوجود والكينونة لا بالمشاعر فقط؛ حتّى لا يؤدّي اتّصالهم بالمجتمع إلى تقويته، في حين يجب هدمه.
٤ ـ يدعو إلى أن تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس أحكام دار الحرب، حتّى ولو لم يكن منهم اعتداء على المسلمين.
لقد حصر الدكتور صلاح دحبور أخطاء هؤلاء الكُتّاب والشباب، وذلك في رسالته للدكتوراه «في ظلال القرآن» التي قدّمها إلى كلّية أُصول الدين بجامعة الإمام محمّد بن سعود. ويمكن حصر هذه الأخطاء في الآتي:
١ ـ تعمّد البحث عن الأخطاء وتسجيل العيوب.
٢ ـ عدم التفريق بين الخطأ في المنهج كخطأ الخوارج، والخطأ في الفروع، والذي هو من طبيعة البشر.
٣ ـ الخطأ في النتيجة، وذلك باستبعاد فكر الشهيد وكتبه، استناداً إلى الخطأ في المقدّمات الممثّلة فى البندين ١ و٢.
٤ ـ قياس فكر الشهيد على ما يحمله الناقد من معتقد أو مذهب، ومن ثمّ الحكم بخطئه في كلّ ما يخالف هذا المذهب، ودون إدراك أنّ فكر الشهيد فكر سلفي قبل الخلاف المذهبي والكلامي.
٥ ـ عدم جمع أقواله في الموضوع الواحد، ثمّ التركيز على موضع واحد وتفسيره، طبقاً لانطباع الباحث وما يهواه.
٦ ـ إغفال المنهج الإسلامي في الحكم على الفكر عند تعارضه.
فما هي حقيقة آراء سيّد قطب؟ وما هو المنهج الواجب اتّباعه عند الخلاف أو احتمال الأقوال لمعانٍ عديدة؟

←

←

المنهج الإسلامي وفكر سيّد قطب:

إنّ علماء المسلمين يتبعون الإسلامي في الحكم على الأقوال والأفكار، أو لاستخلاص الحكم الشرعي من نصوص القرآن والسنّة، ويقتضي هذا المنهج جمع الأقوال في الموضوع الواحد لاستخلاص الحكم منها:

أ ـ ففي قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران ٣: ٩٧] لا يقال بكفر من تخلّف عن الحجّ، وإنّما يقصرون الكفر على من أنكر فريضة الحجّ.

ب ـ وفي قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» لا يقولون بكفر المتقاتلين وخروجهم عن الملّة، بل يقولون: إنّ الكفر هنا هو الكفر بنعمة الإسلام، أو الكفر المجازي.

ج ـ وفي قول النبي ﷺ: «فرق بين الرجل والكفر ترك الصلاة»، يقولون: إنّ الكفر هنا يكون بإنكار فريضة الصلاة، أمّا من تركها كسلاً فلا يكفر بالله تعالى.

ففي جميع هذه الحالات لا يقولون بالكفر الذي يخرج عن الملّة، بل يقولون: إنّه الكفر العملي أو المجازي، أو الكفر بنعمة الإسلام؛ وذلك لوجود نصوص أُخرى من القرآن أو السنّة تصرف لفظ الكفر هنا عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي.

فإذا كان هو المنهاج مع ما ورد عن الله ورسوله، فمن باب أولى يطبّق هذا على أقوال الناس؛ لأنّها ليست حاكمة على القرآن والسنّة، بل محكومة بهما، ولأنّه يفترض في المسلمين ـ ولا سيّما العلماء ـ أن يخضعوا في القول والعمل للقرآن والسنّة، فإن صدر منهم لفظ يحتمل أكثر من معنى يجب أن تصرفه إلى المعنى الموافق للقرآن والسنّة.

وليس هذا دفاعاً عن المصطلحات التي أحدثت لبساً كالمفاصلة والجاهلية أو غيرها، إنّما لبيان الحكم الشرعي الذي التبس على بعض الإخوة، ومنهم بضعة عشر نفراً تخرّجوا في الكلّيات الإسلامية، مع الإشارة أنّه لا ينبغي إطلاق المصطلحات الحادّة، والاستعانة بالأُسلوب الأدبي المثير، دون تحديد الحكم الشرعي في نفس المكان، وليس في كتاب آخر، خصوصاً الكاتب الذي يتصدّى لقضايا تتّصل بالعقيدة، ليس كتناول أُمور الحركة والوعظ والترهيب والترغيب، أو الأدب والشعر والصحافة؛ لهذا وجدنا علماء المسلمين

→

← على مرّ العصور يستخدمون عبارات وكلمات دقيقة، ويزنون ذلك بموازين فقهية في غاية الدقّة والضبط .
وفيما يلي أهمّ هذه القواعد:

القاعدة الأُولى: عدم اتّباع المتشابه، وموازين تكفير المسلم:

إذا كان الموضوع قد ورد بشأنه عدّة أقوال فلا يتمّ تصيّد القول الذي يثير الفتنة، بل يجب جمع الأقوال في الموضوع الواحد لنصل إلى الحكم الصحيح، أمّا اختيار ما يتّفق مع اتّجاه جماعة من الجماعات لدعم هذا الاتّجاه بالأخذ بظواهر بعض الآيات والأحاديث أو عبارات بعض الكُتّاب، فهو اتّباع للمتشابه الذي نهى الله تعالى عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٣: ٧].

فمن قبيل الفتنة: ما نسب إلى سيّد قطب من القول بتكفير المسلمين الذين يشهدون أن لا إله الله ويقيمون الصلاة، فهذا أثرُ ونتيجةُ الحكم بالهوى، والابتعاد عن الموضوعية ونزاهة القصد، والدليل على ذلك، وعلى سبيل المثال:

أوّلاً: المجتمع الجاهلي:

ورد بالمعالم تحت بند: (لا إله إلّا الله.. منهج حياة): أنّ المجتمع الجاهلي هو: المجتمع الذي لا يخلص عبوديته لله وحده. ثمّ ذكر أنّه يدخل في ذلك:

أ ـ المجتمع الشيوعي.

ب ـ المجتمعات الوثنية.

ج ـ المجتمعات اليهودية والنصرانية.

د ـ المجتمعات التي تزعم لنفسها أنّها مسلمة.

ثمّ شرح سيّد قطب هذه العبارات ليوضّح المقصود منها، ولكن بعض من ادّعوا محبّته، وكذا من يناصبون منهجه العداء لعلمانيتهم أو لتبعيتهم لآخرين، قد زعموا أنّه يقول بكفر المسلمين في عصرنا، ومنهم من رتّب على ذلك أحكاماً تتفاوت باختلاف قصده.

←

← ومنهم من زعم أنّ سيّد قطب أعلن لهم أنّ النطق بالشهادتين لا يعدّ دليلاً على إسلام المرء، فلا يعتبر مسلماً من صلّى وصام، ولم ينخرط في الجماعة التي تتبنّى الحاكمية وفق مفهوم المخالفين، حسبما هو مفصّل في كتاب «الحكم وقضية تكفير المسلم»، وكتاب «ذكرياتي في جماعة المسلمين».

ولقد رتّب بعض العلمانيّين على ذلك مزاعم نسبوها إليه وإلى غيره من الدعاة أفراداً وجماعات، حسبما ذكرناه من قبل.

والأستاذ سيّد قطب بريء من هذه النتائج، فقد أوضح في شرحه لهذه العبارات سبب الوصف بالجاهلية للمجتمعات التي تدّعي الإسلام.

وهو لا يطلق كلمة الجاهلية دون تحديد، فما كان منها متعلّقاً بالعقيدة ركزّ عليه، وما كان منها متعلّقاً بالتقليد أشار إليه.

والدليل الأوّل:

قوله: «لقد حاول اليهود ـ وبمساعدة الحمير الذين يستخدمونهم من الصليبّيين ـ أن ينشروا موجة من الإلحاد في نفوس الأمم التي تعلن الإسلام عقيدة لها وديناً. ومع أنّ الإسلام كان قد بهت وذبل في هذه النفوس، فإنّ الموجة التي أطلقوها عن طريق البطل (أتاتورك) في تركيا انحسرت على الرغم من كلّ ما بذلوه لها وللبطل من التمجيد والمساعدة، وعلى كلّ ما ألّفوه من الكتب عن البطل والتجربة الرائدة التي قام بها.. ومن ثمّ استداروا في التجارب الجديدة يستفيدون من تجربة (أتاتورك) ألّا يرفعوا على التجارب الرائدة راية الإلحاد، إنّما يرفعون عليها راية الإسلام؛ كي لا تصطدم الفطرة كما صدمتها تجربة (أتاتورك)، ثمّ يجعلون تحت هذه الراية ما يريدون من المستنقعات والقاذورات والانحلال الخلقي، ومن أجهزة التدمير للخامة البشرية بجملتها في الرقعة الإسلامية».

الدليل الثاني:

قوله: «فالشرك بالله المخالف لشهادة أن لا إله إلّا الله يتمثّل في كلّ وضع، وفي كلّ حالة لا تكون فيها الدينونة في كلّ شأن من شؤون الحياة خالصة لله وحده، ويكفي أن يدين العبد لله ←

← في جوانب من حياته، بينما هو يدين في جوانب أُخرى لغير الله، حتّى تتحقّق صورة الشرك وحقيقته، وتقديم الشعائر ليس إلّا صورة واحدة من صور الدينونة الكثيرة..
والذين يظنّون أنّهم في دين الله؛ لأنهم يقولون لأقوامهم: نشهد أن إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، ويدينون فعلاً في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث، بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيّق لغير الله، ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله، وكثرتها ممّا يخالف مخالفة صريحة شريعة الله، ثمّ هم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم أرادوا أم لم يريدوا؛ ليتحقّق ما تتطلّبه فيهم الأحكام الجديدة، فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأحكام نبذت أوامر الله فيها، ونفذت مطالب هذه الأصنام» عليهم أن يضيقوا لما هم فيه من الشرك.

الدليل الثالث:
ما أورده عن معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء ٤: ٩٤] . قال في «الظلال»: «يكتفي الإسلام هنا بالنطق بكلمة اللسان، فلا دليل يناقضها»، أي : أنّه يقول بإسلام من نطق بالشهادتين دون انتظار لامتحانه؛ إذ لا يوجد دليل يخالف هذا الظاهر..

ثانياً: الجماعة والكفر:
ذكرنا أقوال خصوم الشهيد، وكذا من زعموا التبعية له، وكلّها تزعم أنّه يُكفِّر من ليس في جماعته. وفي «الظلال» يصف المسلم غير المرتبط بالجماعة بل القاعد من الأفراد بقوله: «أمّا القاعدون من المسلمين الباحثين والمفسّرين الذين لا يتحرّكون حركة عملية بالقرآن فهم لا يفهمون القرآن، ولا يحسنون تفسيره، ولا يدركون منهجه. إنّ هذا القرآن لا يتذوّقه إلّا من يخوض مثل هذه المعركة ويواجه مثل تلك المواقف التي تنزل فيها ليواجهها ويوجّهها، والذين يتلمّسون معاني القرآن ودلالته ـ وهم قاعدون يدرسونه دراسة بيانية أو فنّية ـ لا يملكون أن يجدوا من حقيقته شيئاً في هذه القعدة الباردة الساكنة، بعيداً عن المعركة، وبعيداً
←

← عن الحركة». وقد سئل ﷺ في تحقيقات الجناية ١٢/١٩٦٥ أمن الدولة العليا بمصر: هل ترىٰ أنّ هناك فرقاً بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان وغير المنتمي لتلك الجماعة؟ والسؤال من صلاح نصّار رئيس النيابة. وكان الجواب هو: «الذي يميّز الإخوان أنّ لهم برنامجاً محدّداً في تحقيق الإسلام، فيكونون مقدّمين في نظري على من ليس لهم برنامج محدّد. والتمييز في رأيي ليس تمييز شخص على شخص، ولكن فقط باعتبار أنّ الجماعة ذات برنامج، وأنّ كلّ شخص فيها مرتبط بهذا البرنامج لتحقيق الإسلام، وهذا وجه التمييز». ولكن مع هذا الوضوح والتحديد، ما زال ينسب إليه القول بكفر غير المنتظم في الجماعة.

ثالثاً: دار الحرب:

وأخيراً فإنّ ما نسب إلى سيّد قطب من اعتبار غير المسلمين دار حرب، ويجب استخدام السيف معهم، حتّى لو لم يكن منهم اعتداء على المسلمين، هو كذب صريح عليه، فقد كتب في «الظلال» أقوال الأستاذ محمّد عزّة دروزة، التي تضمّنت أنّ أهل التأويل والتفسير تكلّموا عن آية السيف، ويعتبرونها ناسخة لكلّ آية فيها أمر بالتسامح مع المشركين، وآية الجزية واعتبرها سيفاً في أهل الكتاب.

وكان تعقيب سيّد قطب هو بنصّه:

أ ـ «آيات سورة التوبة إلى الآية الثانية والعشرين نزلت تحدّد العلاقات النهائية بين المجتمع الإسلامي الذي استقرّ وجوده بالمدينة وفي الجزيرة العربية بصفة عامّة، وبين بقية المشركين في الجزيرة..». إنّها خاصّة بمشركي العرب في الجزيرة العربية، وليست حكماً عامّاً لجميع الناس على وجه الأرض.

ب ـ «الأجل الذي ضربه الله للمعاهدين: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [سورة التوبة ٩: ٢] إنّما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على الرسول ونقضوا عهدهم قبل انقضاء موته. فأمّا الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإنّ الله أمر نبيّه بإتمام العهد بينهم إلى مدّته».

ج ـ وقال: «من العجيب أن يقال: إنّ آية سورة التوبة نسخت كلّ العهود، وشرّعت قتال المشركين إطلاقاً، بينما الآيتان اللتان تستثنيان المعاهدين غير الناقضين واردتان في نفس السياق!».

←

← لقد قدّم لذلك الشهيد سيّد قطب بأن نقل عن محمّد عزّة دروزة قوله: «ولقد نبّهنا قبل على أنّ أهل التأويل والمفسّرين يسمّون الآية الثانية: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة ٩: ٥] : آية السيف، ويعتبرونها ناسخة لكلّ آية فيها أمر بالتسامح والتساهل مع المشركين وإمهالهم والإغضاء عنهم، وتوجب قتالهم إطلاقاً. وبعضهم يستثني المعاهدين منهم إلى مدّتهم، وبعضهم لا يستثنيهم ولا يجوّز قبول غير الإسلام منهم بعد نزولها». وقال ﷺ: «ونبّهنا على ما في الأعداء وترك المسالمين والموادّين وبرّهم والإقساط إليهم»، ثمّ قال: «وروى ابن كثير: أنّ النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب بهذه السورة، حيث بعثه يؤذّن في الناس يوم الحجّ الأكبر بحكمها، وهذه الآية سمّاها:

١ ـ سيفاً في المشركين من العرب.

٢ ـ وسيفاً في قتال أهل الكتاب، وهي آية: ﴿قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة ٩: ٢٩].

٣ ـ وسيفاً في المنافقين، وهو قول الله في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٣].

٤ ـ وسيفاً في قتال الباغين، وهو هذه الآية في سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحجرات ٤٩: ٩]». ثمّ نقل عن الشيخ دروزة: «ومن العجيب أنّ الطبري ذهب إلى أنّ هذه الآية تشمل المعاهدين ومن لا عهد لهم إطلاقاً دون تفريق، مع أنّه قرّر في سياق آية الممتحنة هذه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة ٦٠: ٨] أنّها محكمة، وأنّ الله لا ينهى المسلمين عن البرّ والإقساط لمن يقف منهم موقف المسالة والمحاسنة والحياد من أيّة ملّة كانوا، وهؤلاء قد لا يكونون معاهدين».

نقل الشهيد سيّد قطب هذا ثمّ قال: «واضح أنّ المؤلّف لا يلقي باله إلى طبيعة المنهج الحركي في الإسلام ومواجهته للواقع بوسائل مكافئة، فهو يحيل الأحكام النهائية الأخيرة على النصوص المرحلية قبلها، دون التفات إلى النصوص السابقة كانت تواجه حالات واقعة غير ←

← الحالة التي جاءت النصوص الأخيرة تواجهها، وحقيقة أنّ هذه الأحكام ليست منسوخة ـ أي: عهود الموادعة والأمان ـ بمعنى: أنّه يجوز الأخذ بها مهما تكون الأحوال بعد نزول الأحكام الأخيرة، فهي باقية لمواجهة الحالات التي تكون من نوع الحالات التي تواجهها، ولكنّها لا تقيّد المسلمين إذا واجهتهم حالات كالتي واجهتها النصوص الأخيرة وكانوا قادرين على تنفيذها».
ثمّ انتهى إلى تلخيص الأحكام السالف ذكرها، وهي تتضمّن أنّ هذه الآيات خاصّة بمشركي العرب، وأنّ المعاهدين تحترم عهودهم بصراحة ووضوح لا لبس فيه ولا إبهام، ولكنّ العلمانيّين والسذّج من محبّيه ينسبون إليه ما لا يجول بخاطره.

القاعدة الثانية: الاحتكام إلى القرآن والسنة:
إنّ القاعدة الإسلامية: أنّه عند الخلاف والتنازع يجب الاحتكام إلى القرآن والسنّة، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء ٤: ٥٩].
وتطبيقاً لهذه القاعدة يفهم قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، يردّ ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الحجرات ٤٩: ٩] .
فمن هذا يتّضح أنّ الاقتتال بين المؤمنين ليس كفراً، ومن ثمّ يفهم الحديث النبوي: «وقتاله كفر» على أنّه الكفر بنعمة الإسلام، وليس الكفر المخرج عن الملّة.
ولكن من ذكرنا تجاهلوا هذه القاعدة، وتلمّسوا أقوالاً لسيّد قطب ظاهرها يفيد الكفر. وهؤلاء لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث في مؤلّفاته لإثبات هذه الافتراضات أو نفيها، وأشاعوا الفتنة بهذه الأقوال وغيرها.
وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:
١ ـ نسبوا إليه فكرة المرحلية في عصرنا، ومقتضاها: أنّ المجتمعات المعاصرة تشبه المجتمع المكّي قبل الهجرة، وتأخذ حكمه من حيث وجوب الهجرة منها واعتزالها والكفّ ←

← عن القتال، فالجهاد بالكلمة فقط، حتّى تقام الدولة الإسلامية التي يفرض فيها القتال.
و سيّد قطب لا يقول بذلك، فقال: «إنّه في الفترة المكّية كان الولاء للعقيدة في المقام الأوّل، بما في ذلك الإرث والتكافل، فلمّا انتصر الإسلام في بدر عدلت أحكام تلك الفترة الاستثنائية»، وهؤلاء قد التمسوا قوله عن الحركة الجهادية وأوّلوه.
لقد قال: «إنّ خطّة الحركة الجهادية ـ كما يرسمها القرآن ـ خطّة مرحلية، إنّها تأمر بقتال الذين يلون دار الإسلام، فإذا انتهى قتالهم انتقلت جيوش الجهاد إلى الذين يلونهم وهكذا، وبهذه الخطّة القرآنية تتوحّد الرقعة الإسلامية وتتّصل حدودها، ولاتوجد جيوب فيها لأعدائها، وعلى هدى هذه الخطّة سارت حركة الفتح الإسلامي الأُولى مرحلة مرحلة، فلمّا أسلمت الجزيرة العربية كان التوجّه إلى بلاد العراق، ثمّ بلاد الشام».
فالمرحلية عند سيّد قطب تتعلّق بالحركة الجهادية، ولا تشير من قريب أو بعيد إلى القول بالمرحلية في الأحكام الشرعية في عصرنا، كالتي كانت في العهد المكّي، حيث لم يفرض الجهاد ولم تفرض الحدود والزكاة وغير ذلك. فمن قال: إنّنا اليوم في العصر المكّي، ولا تلزمنا هذه الأحكام، فقد ابتدع ذلك من عنده، وحلّل وحرّم في دين الله.
٢ ـ إنّ المرحلية التي ينسبونها إلى سيّد قطب تفيد حلّ زواج المشركات في عصرنا، بدعوى: أنّنا في العصر المكّي، حيث كان يباح زواج المشركات. ولكن في «الظلال» في سورة البقرة الآية ٢٢١ بشأن الزواج يقول: «إنّه قد تضمّن اثني عشر حكماً من أحكام الزواج». ويقول: «الحكم الأوّل يتضمّن النهي عن زواج المسلم بمشركة، وعن تزويج المشرك من مسلمة».
فهذه أقوال صريحة في أنّ المزاعم التي روّجها بعضهم وردّدها آخرون ـ من أنّ سيّد قطب يقول بحلّ زواج المشركات في عصرنا بدعوى أنّنا ما زلنا في العهد المكّي ـ مزاعم باطلة، فضلاً عن أنّ هؤلاء يجهلون أنّ الحكم الوارد في سورة الممتحنة بتحريم المشركات لقول الله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [سورة الممتحنة ٦٠: ١٠] ، قد طبّق على المسلمين في مكّة والمدينة، فطبّق في مكّة على السيّدة زينب بنت الرسول ﷺ، ففسخ زواجها من العاص بن الربيع.

←

→ **القاعدة الثالثة: التفرقة بين القضاة والدعاة:**

إنّ الخطأ الجسيم الذي يقع فيه بعض من يقرأ كتب الدعاة الذين يركّزون على تحكيم شرع الله تعالى، كالمعالم والظلال والمصطلحات الأربعة، هذا الخطأ هو اعتبار أقوال هؤلاء أحكاماً شرعية كتلك التي يصدرها القضاة، أو أحكاماً فقهية قد صدرت عن الفقهاء المختصّين في الفتيا. وهؤلاء لم يقصدوا إصدار أحكام على المسلمين، بل إنّ الشهيد سيّد قطب قد صرّح أكثر من مرّة وفي أكثر من موضع: «أنّه من رغب في معرفة الحكم الشرعي في المسألة فليرجع إلى كتب الفقه، وأعلن أنّنا دعاة، ولسنا قضاة».

ومع هذا، فإنّ بعض من زعموا أنّهم تلاميذه أهدروا الحكم الفقهي وكتب الفقه، وزعموا أنّه أرشدهم إلى نبذ كتب الفقه؛ لأن التلقّي المباشر من القرآن الكريم هو المنهج القويم، ولأنّ هذه الكتب وضعت في عصور لا تلائم عصرنا، كما أنّ خصومه ـ بل وخصوم الإسلام ـ حاولوا الصيد في الماء العكر، ونرجو مخلصين أن يدركوا أنّ سيّد قطب ليس رسولاً، وبالتالي فأقواله إن أمكن تأويلها بما يتّفق مع القرآن والحديث النبوي وما أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ، كان الواجب المصير إلى هذا التأويل عند التعارض.

و سيّد قطب قد صرّح بتبنّيه هذا المنهج، وذكر ذلك في مواضع عدّة، منها:

أ ـ فقد ذكر في مواضع مختلفة بما ينفي عن نفسه الشبهة التي قد تلحق بكتب الدعاة، وهو اعتبار ما فيها أحكاماً شرعية بالكفر والإيمان، فكيف نلصق به هذه التهمة مع أنّه في الحالات التي تبنّى فيها حكماً شرعياً يعلن رجوعه عنه إذا اتّصل بعلمه وجود حديث نبوي في الموضوع الذي اجتهده. ففي تبيانه لقول الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [سورة البقرة ٢: ١٨٥] قال: «إنّه لا ينسخ التخيير السابق». ولكنّه عاد في الطبعة التالية، وأعلن أنّ بعض الإخوان قد أرشده إلى آثار تفيد النسخ، ولهذا يعلن رجوعه عن رأيه، ونزوله على الرأي الذي ترجّحه الآثار.

و بهذا انتهى إلى أنّ التخيير قد نسخ، وموقفه هذا يبطل دعاوى من ينسبون إليه هذا الفكر.

ب ـ وما يحتاج إلى بحث متخصّص أو قضية مستقلّة يشير إليه، مؤكّدًا أنّ هذه التفصيلات والأحكام تخرج عن طبيعة «الظلال».

يقول ﷺ: «ولا نملك هنا ـ في «الظلال» ـ أن نبعد في عرض هذه المسألة بكلّ تفصيلاتها

←

← لجلاء هذه الموافقات، فهي في حاجة إلى بحث متخصّص». قال ذلك عن قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأنعام ٦: ٩٨] .

ويقول عن الآية (١٢) من سورة الأنعام: «ولابدّ من الاكتفاء بالإشارة السريعة إليها؛ كي لا نخرج من نطاق الظلال القرآنية إلى قضية مستقلّة». وإذا أراد أن يقف عند الآيات الفقهية فإنّه يقف لبيان الحكم من الأحكام ويعلّلها ويوجّهها ويسجّل إيحاءاتها الحركية والدعوية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك.

ج ـ كما أنّ سيّد قطب في مقدّمة «الظلال» ينفي أنّه أراد به أحكاماً، فيقول: «فقد يرى فريق من قرّاء هذه الظلال أنّها لون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق آخر أنّها عرض للمبادئ العامّة كما جاء بها القرآن، وقد يرى فريق ثالث أنّها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع وبيان الحكمة في ذلك الدستور. أمّا أنا فلم أتعمّد شيئاً من هذا كلّه، وما جاوزت أن أُسجّل خواطري وأنا أحيا في تلك الظلال».

د ـ وعلى هذا، فالأقوال الواردة في «المعالم» أو «الظلال» عن الجاهلية أو الحاكمية لا يراد بها كفر المجتمعات، بل يراد بها الولاء للإسلام، فهي خواطر، وليست أحكاماً بالكفر والإيمان. من ذلك قوله: «فأمّا الذين يملكون الهجرة ولم يهاجروا استمساكاً بمصالح أو قرابات مع المشركين، فهؤلاء ليس بينهم وبين المجتمع المسلم ولاية، كما كان الشأن في جماعات من الأعراب أسلموا ولم يهاجروا لمثل هذه الملابسات، وكذلك بعض أفراد في مكّة من القادرين على الهجرة».

فقد أفصح الشهيد عن نفي النصرة فقط مع بقاء رابطة العقيدة؛ لأنّ الله تعالى أوجب نصرة من لم يهاجر إن لم توجد معاهدة تمنع من هذه المناصرة، فقال الشهيد: «هؤلاء وهؤلاء أوجب الله على المسلمين نصرهم ـ إن استنصروهم في الدين خاصّة ـ على شرط ألّا يكون الاعتداء عليهم من قوم بينهم وبين المجتمع المسلم عهد؛ لأن عهود المجتمع المسلم وخطّته الحركية أولى بالرعاية».

و هذا لا ينافي قوله عن هؤلاء الذين لم يهاجروا: «هؤلاء لم يعتبروا أعضاء في المجتمع المسلم، ولم يجعل الله لهم ولاية بكلّ أنواع الولاية؛ لأنّهم كانوا في المجتمع المشرك بمكّة». لكنّه يؤكّد مرّة أُخرى أنّه لا يعني نفي رابطة العقيدة، فيقول في تفسير سورة الأنفال الآية: ←

← ٧٢: «وهذا الحكم منطقي ومفهوم مع طبيعة هذا الدين التي أسلفنا ومع منهجه الحركي الواقعي، فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم، ومن ثمّ لا يكون بينهم وبينه ولاية، ولكن هناك رابطة العقيدة».

التفرقة بين الدعاة وبين الأحبار والرهبان:

إنّ المنهج الإسلامي يضع قواعد للتوفيق بين النصوص الشرعية في القرآن والسنّة إذا كان ظاهرها التعارض، وذلك باتّباع القواعد التالية:

أوّلاً: التوفيق بين النصوص التي ظاهرها التعارض، وذلك بعد جمع كلّ ما ورد في الموضوع.

ثانياً: الترجيح بين النصوص إذا تعذّر التوفيق بينها، وهذا يستلزم اتّباع ما يأتي:

١ ـ أن يقدّم القطعي الثبوت والدلالة على غيره.

٢ ـ أن يقدّم إجماع الصحابة على الأمور المختلف فيها، وعلى ما لم يرد بشأنه نصّ.

٣ ـ إذا كانت النصوص من أحاديث الآحاد وتحتمل الخلاف من حيث ثبوت النصّ يقدّم منها ما تؤيّده القرائن وتقطع بنسبته إلى الرسول ﷺ، فما يترك يكون لضعفه.

٤ ـ إذا كانت النصوص ظنّية الدلالة، كاللفظ المشترك الذي يحتمل أكثر من معنى، ولا يقطع بذاته على معنى بعينه، يرجّح المعنى الذي عليه عمل الصحابة.

ثالثاً: عند تعذّر الترجيح يُلجأ إلى الاستثناء بالنسخ أو التخصيص. مثال ذلك: ما أورده سيّد قطب في «الظلال» في معنى الآية (٨٧) بسورة يونس: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فقال: باعتزال معابد الجاهلية عند مطاردة المؤمنين وجبروت الحاكم، فتمّ تخصيص ذلك بمساجد القاديانية، أو عند اتّخاذ المساجد للتصفيق والنفاق واصطياد العاملين للإسلام.

إنّ هذا المنهج الذي يطبّقه العلماء على نصوص القرآن والسنّة يأبى أُناس أن يطبّقوه على أقوال سيّد قطب والماوردي أو غيرهما، ويصرّون على اعتبار هذه الأقوال من الأمور التي لا تقبل التأويل أو الترجيح أو النسخ، حتّى لو تعارضت مع القرآن والسنّة! وفي هذه الحالة يصرّون على تفسير النصّ الشرعي ليتّفق مع فكرهم ورأيهم. ومنهم من يتجرّأ فينسب هذا إلى حسن البنّا وسيّد قطب، ومن ثمّ يسيؤون إليهم، وهم لا يشعرون. إنّ هذا المنطق هو منطق الأحبار والرهبان ومن اتّبعهم، حيث يزعمون أنّ الله فوّضهم في تغيير حكمه الثابت في

←

← الكتب المنزلة على رسل الله.

والقاعدة عندهم: أنّ ما يحلّونه هم في الأرض يحلّه الله في السماء، وما يحرّمونه في الأرض يحرّمه الله في السماء، ولهذا فأقوال الأحبار والرهبان تنسخ قول الله تعالى وتقدّم عليه. قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهاً وَاحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٩: ٣١].

المستشرقون والهدف من الكتاب:

بعد الانتهاء من هذا الكتاب اطّلعت على كتاب «النبي وفرعون» للأُستاذ جيل كيبيل، وقد جاء به: «كان جمال عبدالناصر مهتمّاً بقراءة كلّ الكتب المحظورة! وعندما وقع في يديه كتاب «معالم في الطريق» جمع المسؤولين عن الرقابة على المطبوعات، وقال لهم: إنّه لا يوجد به ما يستدعي وضعه على قائمة الحظر؛ ولهذا صدرت من الكتاب خمس طبعات في ستّة شهور».

وحدّد الهدف من المعالم، فنقل عنه قول الشهيد: «تقف البشرية اليوم على حافة الهـاوية بسبب إفلاسها في عالم القيم.. ولقد فشلت الأُنظمة الفردية والجماعية، وجاء دور الإسلام ودور الأُمّة في أشدّ الساعات حرجاً وحيرةً واضطراباً».

ثمّ وضع المستشرق الفرنسي تصوّره عن ضرورة بيان ما اختلف فيه بقوله: «إنّ إعدام سيّد قطب المبكّر وضع مفاهيمه وأفكاره في متناول الشعب بكلّ ما احتملته من مضامين غير واضحة أيضاً، وأدّى ذلك إلى وقوع سلاح التكفير بالفعل بين أيدي أتباع مذاهب لا يمكن السيطرة عليها».

فإذا أدرك المستشرق الفرنسي ذلك فهل نستطيع أن نتعامل مع أُسلوب الحوار العلمي، أم أنّ كلّ طرف من الأطراف ستأخذه العزّة بالإثم؟!

كما ذكر المستشرق: أنّ الجاهلية في فكر سيّد قطب تتمثّل في الدولة الاستبدادية. فالجاهلية في نظره هي مجتمع يحكمه أمير فاسق يريد أن يعبده الناس ـ أي: يطيعونه من دون الله ـ فيحكم وفق أهوائه وشهواته بدلاً من أن يعمل بمبادئ الكتاب والسنّة.

ويقول المستشرق الفرنسي: «إنّ كتاب (المعالم) قد حدّد الجاهلية بقوله: المجتمع الجاهلي

←

← هو المجتمع الذي لا يطبّق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوّراته وقيمه وموازينه ونظامه وشرائعه وخلقه وسلوكه».
ومن هذا يتّضح: أنّ أقوال سيّد قطب عن الجاهلية وعن الكفر لا تعني الأفراد، بل تتعلّق بجاهلية المناهج والقيم والتصوّرات وبكفر التشريعات والأحكام، ولكن هذا الشباب ظنّ أنّ سيّد قطب يرى أنّ الشهادتين لا تكفيان لدخول الإسلام. وهذا غير صحيح، حيث قال في «الظلال»: «يكتفي الإسلام بالنطق بكلمة اللسان، فلا دليل يناقضها».

حتمية تأويل أقوال سيّد قطب:

ترد في عبارات الشهيد سيّد قطب كلمات الجاهلية والأُصول العامّة في الإسلام، توجب أن تفسّر هذه العبارات إذا اتّصلت بالمسلمين على أنّها المقصود بها: اعتزال المناهج والتشريعات الكفرية على أساس أنّ أصلها جاهلي، ولا يترتّب على هذا أن يقال: إنّ المسلمين في عصرنا قد ارتدّوا عن الإسلام وأصبحوا كفّاراً، ولهذا فعبارة «اعتزال معابد الجاهلية» ليست إلّا وصفاً لا مدلول له من الناحية الفقهية؛ ذلك أنّ أقوال النبي ﷺ استوجب تاويلها اتّساقاً مع القواعد العامّة كما رأينا، فمن باب أولى كلام العلماء والفقهاء. وليس أدلّ على أنّ الشهيد سيّد قطب لا يريد النتائج والأحكام الفقهية المترتّبة على الألفاظ العامّة من الخطاب الذي نشره الأُستاذ محمّد قطب بمجلّة «المجتمع» بالعدد (٢٧١) الصادر في ١٧/شوّال /١٣٩٥ هـ ـ ٢١/١٠/١٩٧٥ م، وهو يؤكّد ما قلناه، حيث قال بالحرف الواحد:

نصّ الرسالة:

«أخي...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد، فإنّك تعلم ـ يا أخي ـ ما دار من لغط في محيط الإخوان حول كتابات الشهيد سيّد قطب، وما قيل من كونها مخالفة لفكر الإخوان أو جديدة عليه. وأحبّ في هذا المجال أن أُثبت مجموعة من الحقائق، أحسّ بأنّني مطالب أمام الله بتوضيحها؛ حتّى لا يكون في الأمر ←

← شبهة..

إنّ كتابات سيّد قطب قد تركّزت حول موضوع معيّن، هو بيان المعنى الحقيقي لـ «لا إله إلّا الله»، شعوراً منه بأنّ كثيراً من الناس لا يدركون هذا المعنى على حقيقته، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان كما وردت في الكتاب والسنّة، شعوراً منه بأنّ كثيراً من هذه المواصفات قد أُهمل أو غفل الناس عنه، ولكنّه مع ذلك حرص حرصاً شديداً على أن يبيّن أنّ كلامه هذا ليس مقصوداً به إصدار أحكام على الناس، وإنّما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة؛ ليتبيّنوا هم لأنفسهم إن كانوا مستقيمين على طريق الله كما ينبغي، أم أنّهم بعيدون عن هذا الطريق فينبغي عليهم أن يعودوا إليه، ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرّة يقول: «نحن دعاة، ولسنا قضاة. إنّ مهمّتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمّتنا تعريفهم بحقيقة لا إله إلّا الله؛ لأنّ الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي، وهو التحاكم إلى شريعة الله».

كما سمعته أكثر من مرّة يقول: «إنّ الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشكّ، وهذا أمر ليس في أيدينا؛ ولذلك فنحن لا نتعرّض لقضية الحكم على الناس، فضلاً عن كوننا دعوة ولسنا دولة، دعوة مهمّتها بيان الحقائق للناس، لا إصدار الأحكام عليهم».

أمّا بالنسبة لقضية (المفاصلة)، فقد بيّن في كلامه أنّها المفاصلة الشعورية التي لا بدّ أن تنشأ تلقائياً في حسّ المسلم الملتزم تجاه من لا يلتزمون بأوامر الإسلام، ولكنّها ليست المفاصلة الحسيّة المادّية، فنحن نعيش في هذا المجتمع وندعوه إلى حقيقة الإسلام ولا نعتزله، وإلّا فكيف ندعوه؟! تلك خلاصة كتابات سيّد قطب، ولي على هذه الخلاصة تعقيبان:

الأول: هو تأكيدي الكامل بإذن الله من أنّه ليس في هذه الكتابات ما يخالف الكتاب والسنّة اللذين تقوم عليهما دعوة الإخوان المسلمين.

الثاني: هو تأكيدي الكامل أيضاً من أنّه ليس في هذه الكتابات ما يخالف أفكار الإمام الشهيد حسن البنّا مؤسّس هذه الجماعة، ولا ما يخالف أقواله، وهو الذي نصّ في رسالة التعاليم في البند العشرين من ركن الفهم على أنّ: «المسلم الذي لا يجوز تكفيره هو: الذي نطق بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدّى الفرائض». وهذا فضلاً عن كون كتابات سيّد قطب ـ كما أسلفت ـ لم يقصد بها إصدار الأحكام على الناس، وإنّما قصده منها كما كان قصد الإمام الشهيد بالضبط، وهو بيان حقيقة الإسلام ومواصفات المسلم كما وردت في كتاب الله وسنّة

←

يقسّم سيّد قطب المجتمع إلى جاهلي وإسلامي، ويكتب قائلاً: «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم! كلّ ما حولنا جاهلية.. تصوّرات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، ولابدّ لنا من التخلّص من ضغط المجتمع الجاهلي والتصوّرات الجاهلية والقيادة الجاهلية.. إنّ

← رسوله ﷺ. تلك حقائق أرى أنّ من واجبي أن أبيّنها وأُوضّحها أداءً للشهادة لله، فإنّنا لا ندري متى نلقى الله، ولا ينبغي لنا أن نلقاه وقد كتمنا شهادة عندنا لله.

والله الموفّق إلى سواء السبيل

أخوك

محمّد قطب»

سيّد قطب ينفي فكر التكفير:

إنّ فكر التكفير بجناحيه: جناح المفاصلة الكاملة الذي يدّعى أنّه جماعة المسلمين، وتطلق عليهم الحكومة اسم التكفير والهجرة، وجناح المفاصلة الشعورية، والذي يستخدم أُسلوب التقية ويظهر خلاف ما يبطن، فيشيع كفر المسلمين، ثمّ يتظاهر بغير ذلك، ويدّعي أنّه من الإخوان المسلمين، وهو يسعى إلى هدم جماعتهم وفكرهم.. هذا الفكر بجناحيه ينسب بدعته إلى الشهيد سيّد قطب، وقد رأيت أنّ كتبه وعباراته لا تتّفق مع أيّ جناح من جناحي التكفير، كما أنّ أخاه الأُستاذ محمّد يقطع في هذه الرسالة أنّه سمع منه: «إنّنا لا نتعرّض لقضية الحكم على الناس؛ لأنّ ذلك يحتاج قرينة قاطعة لا تقبل الشكّ، وهذا ليس في أيدينا، لأنّنا دعاة ولسنا قضاة». ولقد أكّدت لي السيّدة الفاضلة زينب الغزالي أنّه في يوليو ١٩٦٥ م قبل اعتقال الأُستاذ سيّد قطب سألته عمّا ورد في «الظلال» وفي «المعالم» من عبارات يتمسّك بها بعض الشباب في تكفير آبائهم وأُمّهاتهم، فأكّد لها أنّه لا يتعرّض للأحكام الشرعية، فهذه يختصّ بها الفقهاء، وهي مفصّلة في كتب الفقه، ولا يقول بهذا الفكر، ولقد أكّدت ذلك لي بحضور أخيها السيّد محمّد الغزالي الجبيلي.

وقد نقل سامي جوهر في «الموتى يتكلّمون» أقوال الشهيد في التحقيقات، تضمّنت أنّه لا يقول بكفر أفراد المجتمع، وما ورد في كتبه يتعلّق بالمجتمع كدولة. (فكر سيّد قطب في ميزان الشرع: ١٧ ـ ٣٧ و٨٣ ـ ٨٦).

مهمّتنا أن نغيّر من أنفسنا أوّلاً لنغيّر هذا المجتمع أخيراً»[١].

الإسلام من وجهة نظر سيّد قطب يقسّم المجتمع إلى مجتمعين لا أكثر: مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي..

المجتمع الإسلامي هو: المجتمع الذي يحكم الإسلام في جميع أبعاده العقيدية والعبادية والسلوكية والأخلاقية والقانونية.

والمجتمع الجاهلي هو: المجتمع الذي لاتطبّق فيه شرعة الإسلام، هو المجتمع الذي يبتعد عن الإسلام في تصوّراته ومعتقداته وقيمه وقوانينه وسلوكه وأخلاقياته[٢].

الإسلام الأمريكي

يعدّ سيّد قطب أوّل مفكّر في العالم الإسلامي طرح مصطلح الإسلام الأمريكي، حيث يرى سيّد قطب أن هناك إسلامين: إسلام حقيقي وأصيل، وإسلام تريده أمريكا.. لقد شخّص سيّد قطب أنّ أمريكا بحاجة إلى صناعة نوع إسلام، تريد أن تحارب به المدّ الشيوعي في الشرق الأوسط والدول الإسلامية في آسيا وأفريقيا. وطبيعي أنّ الإسلام الذي يسعى إليه الأمريكيّون والغربيّون المستعمرون وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ـ والحديث لسيّد قطب ـ ليس ذلك الإسلام المناهض للاستعمار والمكافح لكلّ ألوان الظلم والاستبداد، وإنّما يريدون إسلاماً

---

(١) معالم في الطريق: ١٨ ـ ١٩.

(٢) راجع المصدر السابق: ٨٣ وما بعدها.

يتصدّى للشيوعية فقط وفقط. وذلك لأنّهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، وأساساً لا طاقة لهم على تحمّل الحكومة الإسلامية. وذلك لأنّ الإسلام إذا تصدّر الحكم فإنّ من شأنه أن يصنع أُمّة من طراز آخر، ويعلِّم الشعوب أنّ إعداد القوّة أمر واجب، وأنّ طرد الاستعمار أمر واجب كذلك، كما أنّ الشيوعية أيضاً مصدر خطر، فكلاهما معتدٍ.

ويعتقد سيّد قطب أنّ المجتمع الذي لا يحكمه قانون وشريعة الإسلام فهو مجتمع جاهلي، وإن كان الناس في ذلك المجتمع مسلمين يصلّون ويصومون ويحجّون، كما أنّ المجتمع الذي يؤمن بالله ويسمح للناس أن يجتمعوا في المساجد للدعاء والعبادة فقط دون أن يسمح لهم أن يطبّقوا شريعة السماء في المجتمع، هو الآخر يعدّ مجتمعاً جاهلياً.

حول تقسيم المجتمع إلى جاهلي وإسلامي يقول سيّد قطب:

«إنّ الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية، فإمّا إسلام وإمّا جاهلية، وليس هناك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جاهلية يقبله الإسلام ويرضاه. فنظرة الإسلام واضحة في أنّ الحقّ واحد لا يتعدّد، وأنّه إمّا حكم الله وإمّا حكم الجاهلية، وإمّا شريعة الله وإمّا الهوى...»[١].

هذا اللون من الفكر السياسي يذكّرنا بالإمام الخميني ﭬ، حيث كان يقول: «الحكومة إمّا حكومة الطاغوت أو حكومة الإسلام».

---

(١) معالم في الطريق: ١٤٩ ـ ١٥٠.

النضال ضدّ الصهيونيّة

كان سيّد قطب كثيراً ما يتحدّث عن خطر اليهود والصهيونية، ويحذّر الأُمّة الإسلامية من هذا الخطر. وقبل استشهاده بأيّام قلائل أكّد لأحد أصدقائه قائلاً: «إنّ اليهود يعدّون العدّة للسيطرة على العالم بأكمله. وعلى شعوب العالم والمسلمين خاصّة أن ينتبهوا لذلك جيّداً».

ويكنّ سيّد قطب حسّاسية شديدة إزاء اليهود والحركة الصهيونية، حيث يرى أنّ هذه الحركة هي العامل الذي أدّى إلى انحطاط وتخلّف المجتمعات الإسلاميّة.

حول هذه النقطة يرى الكاتب محمّد خليفة التونسي[١] أنّ كلّ دعوة تنأى عن الأخلاق وتدعو إلى الإباحية والفحشاء والربا والحرب، فإنّ اليهود من ورائها.

فمثلاً: كارل ماركس ـ والذي أضرّ بالأخلاق والأديان من خلال المذهب الشيوعي الذي أبدعه ـ كان يهودياً، وكذلك كان دوركايم[٢] الذي هدم كيان

---

(١) محمّد خليفة التونسي: باحث مفكّر من شيوخ العربية. ولد عام ١٩١٥ م بقرية تونس بالصعيد لأُسرة ينتهي نسبها للأدارسة، وتخرّج في كلّية دار العلوم، وهو من أبرز تلامذة العقّاد. عمل في التدريس، وشارك في لجنة تطوير مناهج الأزهر، وانتدب لوزارة الأوقاف في العراق، توفّي سنة ١٩٨٨ م بالكويت. من آثاره: العواصف، فصول في النقد عند العقّاد، التسامح في الإسلام، الأنوار المحمّدية. (شخصيات لها تاريخ: ٦٥).

(٢) أميل دوركايم: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، يعتبر أحد مؤسّسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلّة تقوم على النظرية والتجريب في آنٍ واحد. ←

الأُسرة وقضى على الفضيلة والأخلاق من خلال ما أسماه بعلم الاجتماع، وسارتر اليهودي[١] أو نصف اليهودي الذي روّج لحيوانية الفرد عبر مذهبه الوجودي، وفرويد[٢] هو الآخر اليهودي الذي جعل من الغريزة الجنسية المبدأ الأساس والملهم لكلّ إحساس ديني فنّي أُسري.

ليس من الصدفة أنّ الكثير من المستشرقين وخبراء الفنّ والرياضة والمخرجين والكتّاب هم من اليهود، أو ممّن تأثّروا بالفكر اليهودي، أو كانوا ممّن يتكتّم على يهوديته[٣].

ويرى سيّد قطب أنّ الحركة الصهيونية ترمي إلى تضعيف عامل العقيدة الإسلامية عند المسلمين، وهذا ما يمكن استكشافه من خلال كتب وأعمال وخطابات رموز هذه الحركة.

وإلى جانب ذلك يسعى الصهاينة إلى محو الأخلاق في المجتمع الإسلامي. وأن لا يكون الإسلام هو مصدر التشريع في المجتمعات الإسلامية[٤].

← أبرز آثاره: في تقسيم العمل الاجتماعي، وقواعد المنهج السوسيولوجي. كانت ولادته عام ١٨٥٨ م، ووفاته سنة ١٩١٧م. (موسوعة المورد ٤: ١١).

(١) جان بول سارتر: روائي وكاتب مسرحي وفيلسوف فرنسي. ولد عام ١٩٠٥م. يعدّ زعيم المدرسة الوجودية الفرنسية. من آثاره الروائية: الغثيان، ومن آثاره المسرحية: الذباب، والأيدي القذرة، ومن آثاره الفلسفية: الوجود والعدم. توفّي عام ١٩٨٠ م. (موسوعة المورد ٨ : ٢١٣).

(٢) سيجموند فرويد: طبيب أمراض عصبية نمساوي. ولد عام ١٨٥٦م، وأسّس طريقة التحليل النفسي، وأكّد على أثر اللاوعي والغريزة الجنسية في تكوين الشخصية! أُصيب بالسرطان عام ١٩٢٣ م، ومات به عام ١٩٣٩م. أشهر آثاره: دراسات في الهستريا، وتأويل الأحلام. (موسوعة المورد ٤: ١٧٣).

(٣) مقوّمات التصوّر الإسلامي: ٢٩٨.

(٤) چرا إعدامم كردند (لماذا أعدموني؟): ٢٢.

السرّ في معاداة الاستعمار لفكر إقامة النظام الإسلامي

يرى سيّد قطب أنّ السبب الكامن من وراء معادة الاستعمار للدين الإسلامي وفكرة إقامة النظام الإسلامي هو أنّه بقيام النظام الإسلامي لا يبقى للرأسمالية ولا للشيوعية أثر ولا عين..

إنّ مخالفة الاستعمار لهذا النمط من الحكم ـ الحكم الإسلامي ـ يعود إلى أنّ النظام الإسلامي لا ينسجم مع الاستعمار، كما لا يلتئم مع الشيوعية، ولا يسمح لأيّ مستعمر أيّاً كان اسمه ورسمه أن يجثم على أرض الإسلام، أو أن يفعل ما يشاء في الوطن الإسلامي الكبير.

ومن هنا نجد المستعمرين ينصبون العداء للنظام الإسلامي العادل، والذي بإمكانه أن يكفل للإنسانية جمعاء حياة سعيدة وآمنة[١].

الجهاد ضدّ الاستعمار من وجهة نظر سيّد قطب

«كن مسلماً فحسب.. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك إلى كفاح الاستعمار في شجاعة واستماتة وتضحية واستبسال، فإن لم تفعل فتحسّس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك، وإلّا فما صبرك عن كفاح الطغيان؟!»[٢].

في كتاب سيّد قطب «معالم في الطريق» يقرّر هذه الحقيقة، وهي أنّ الجهاد

---

(١) عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعية في الإسلام): ٢٣، نقلاً عن مجلّة «المسلمون» / السنة الخامسة / العدد: ٨.

(٢) ما چه ميگوييم (ماذا نقول؟): ٣٥ (الترجمة الفارسية لكتاب دراسات إسلامية).

ضرورة لابدّ منها، حيث يكتب قائلاً:

«وقيام مملكة الله في الأرض وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد، وردّه إلى الله وحده، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها، وإلغاء القوانين البشرية، كلّ ذلك لا يتمّ بمجرّد التبليغ والبيان؛ لأنّ المتسلّطين على رقاب العباد والمغتصبين لسلطان الله في الأرض لا يسلّمون في سلطانهم بمجرّد التبليغ والبيان، وإلّا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض؟!»[١].

نعم، ما أشار إليه سيّد قطب من حقيقة لابدّ وأن يلتفت إليها البعض من المسلمين، ممّن ينظر إلى الأُمور بعفوية، ويعتقد أنّه من الممكن حمل المستعمرين وطغاة العالم على أن يكفّوا من ممارساتهم اللاإنسانية من خلال التفاوض والاستدلال أو إثارة عواطفهم بالكلام الليّن.

الإسلام الدين الذي يكفل للإنسانيّة حرّيتها

يذهب سيّد قطب إلى أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي بإمكانه إنقاذ المجتمعات البشرية من المشاكل والأزمات التي ترتهن بها، ولا يوجد نظام آخر بإمكانه أن يوصل البشرية إلى شاطئ السعادة[٢].

---

(١) معالم في الطريق: ٦٠.

(٢) عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعية في الإسلام): ١٣٠.

المستقبل لهذا الدين

عن المستقبل يكتب سيّد قطب:

«ولكن الذي لا شكّ فيه ـ على الرغم من ذلك كلّه ـ هو أنّ أمامنا كفاحاً مريراً شاقّاً طويلاً، لاستنقاذ الفطرة من الركام، ثمّ لتغليب الفطرة على هذا الركام.. كفاحاً مريراً يجب أن نستعدّ له استعداداً طويلاً، يجب أن نستعدّ بأن نرتفع إلى مستوى هذا الدين، نرتفع إلى مستواه في حقيقة إيماننا بالله وفي حقيقة معرفتنا بالله...»(١).

الحريّة من وجهة نظر سيّد قطب

يعتقد سيّد قطب أنّ الحريّة بمعنى: التحرّر من جميع القيود سوى قيد العبودية لله، ويلخّص مفهوم الحرّية في أن يكون الإنسان عبداً لله، ويقول في هذا المجال:

«إنّ شهادة أن لا إله إلّا الله ـ وهي الركن الاعتقادي الأوّل في هذا الدين ـ تعني منهجاً كاملاً للحياة، يقوم على التحرّر المطلق وجدانياً وعملياً من كلّ عبودية لغير الله. هذا التحرّر الذي هو الخطوة الأساسية لتحقيق مجتمع صالح كريم، الكلّ فيه متساوون»(٢).

---

(١) المستقبل لهذا الدين: ١١٤ ـ ١١٧.

(٢) عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعية في الإسلام): ١٢.

سيّد قطب والفلسفة

يرى سيّد قطب أنّ ما هو معروف اليوم لدى الأوساط العلمية من فلسفات معاصرة تدعى بالفلسفة الإسلامية هي في الواقع ليست من الفلسفة الإسلامية في شيء. ويقرّر رأيه عن الفلسفة الإسلامية بأنّها هي الفلسفة التي تستلّ من القرآن والسنّة.

حول الفلسفة يقول سيّد قطب:

«الفلسفة الإسلامية الحقّة لا تلتمس عند ابن سينا[١] أو ابن رشد[٢]

---

(١) أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس: أشهر أطبّاء الشرق وأعظم فلاسفتهم. ولد في أفشنة سنة ٣٧٠ هـ. يقال: إنّه حفظ القرآن والأدب العربي في العاشرة من عمره، وتعلّم النحو ومبادئ الشريعة، وخاض علم الرياضيات والطبيعيات والمنطق والميتافيزيقا، ثمّ درس بعدها الطبّ على يد عيسى بن يحيى، حتّى هرع إليه الأطبّاء يستفيدون من معارفه. طلب منه نوح بن منصور أمير بخارى أن يشفيه من مرض ألمّ به، وبعد شفائه فتح له أبواب مكتبته، فنهل منها ابن سينا. كان وزيراً لدى أمير همدان، ولكنّه لقي الحسد من الجنود الذين أسروه وطلبوا قتله، بيد أنّ الأمير أنقذه، وبعد موت الأمير لم يتّفق ابن سينا مع ابنه، فكاتب في السرّ عدوّه أمير أصبهان، فانكشف أمره، وأُودع السجن، وبعد سنتين هرب إلى أصبهان ورافق أميرها. وفي همدان عاودته نوبة من الزحار، فقضى بها سنة ٤٢٨ هـ. من مؤلّفاته: المناظر، الشفاء، القانون في الطبّ، المبدأ والمعاد، الإشارات والتنبيهات، المدخل إلى صناعة الموسيقى، رسالة العشق. (وفيات الأعيان ٢: ١٥٧ ـ ١٦٢، لسان الميزان ٢: ٢٩١ ـ ٢٩٣، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٢٩ ـ ٣٢).

(٢) أبو الوليد محمّد بن أحمد بن محمّد بن رشد القرطبي: فيلسوف وفقيه شهير. ولد في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ، وكان أبوه قاضياً لقرطبة، فعلّم ابنه مبادئ الفقه والفلسفة، وتدرّج في المراحل العلمية، حتّى غدا قاضي قضاة قرطبة ومن العلماء في مجالات الفقه والفلسفة والرياضيات والفلك والفيزياء والطبّ. دارت دورة الزمان عليه، فسجن وأُحرقت كتبه، ثمّ عاد من جديد ←

وأمثالهما، ممّن يطلق عليهم فلاسفة الإسلام. ففلسفة هؤلاء إنّما هي ظلال للفلسفة الإغريقية، لا علاقة لها في الحقيقة بفلسفة الإسلام. وللإسلام فلسفته الأصيلة الكاملة، تلتمس في أُصوله النظرية: القرآن، والحديث، وفي سيرة رسوله وسننه العملية»(١).

← إلى مهامه الأُولى، إلى أن توفّي سنة ٥٩٥ هـ. ألّف ما يزيد على الثمانين كتاباً، وترجمت بعض كتبه إلى العبرية واللاتينية. من كتبه: بداية المجتهد، تهافت التهافت، شرح جمهورية أفلاطون، كتاب الكون، الدعاوى، فصل المقال. (مرآة الجنان ٣: ٣٦٢، شذرات الذهب ٤: ٣٢٠، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٢٢ ـ ٢٨).

(١) عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعية في الإسلام): ٢٠.

الفصل الثامن :

مشروعه الوحدوي

الوحدة في فكر وكلام سيّد قطب

يعتقد المفكّر الإسلامي المصري الكبير سيّد قطب أنّ القومية هي الخطر الداهم والداء العضال للمجتمعات الإسلامية، ويرى أنّه ما لم تتحقّق الوحدة بين مسلمي العالم فإنّ الإمبريالية الغربية ستستمرّ في نهبها لثروات وموارد المسلمين.

والسبب في رفض سيّد قطب لمبدأ القومية يكمن في أنّ هذا المبدأ الهجين أضحى مبدأً مقابل مبدأ الوحدة الإسلامية ومصدر خطر عليها.

والملاحظ أنّ هذا اللون من التفكير لدى سيّد قطب كان أحد موارد الخلاف بينه وبين جمال عبد الناصر الذي كان يتبنّى شعار القومية العربية، وسبباً في تأزّم العلاقة بين الطرفين، حيث تصدّى سيّد قطب وبشدّة لهذا الشعار وكتب نقوداً في مخالفته.

يرى سيّد قطب أنّ فكرة ضيّقة وظلامية كفكرة القومية كانت ولا تزال مبدأً هدّاماً داخل منظومتنا الفكرية... فكرة سبّبت تشتيت طاقات وقدرات «الوطن الإسلامي الكبير»، وساهمت في تحويله إلى دويلات صغيرة وضعيفة لا حول لها ولا قوّة.. فكرة القومية هي التي أتاحت للإمبريالية الغربية أن تتغدّى بدولة إسلامية وتتعشّى بأُخرى، والحال أنّها ـ الإمبريالية الغربية ـ مطمئنة بأنّ هذه الحدود المصطنعة لا تسمح لأيّ دولة صغيرة أن تمدّ يد العون لدولة أُخرى، وذلك لأنّ كلّ واحدة من هذه الدول قد حُجِرَ عليها في أقفاس حديدية ضيّقة، ولا تستطيع أن تخلّص نفسها، فضلاً عن أن تفكّر بمساعدة الآخرين[١].

---

(١) راجع مجلّة «تاريخ فرهنگ معاصر» (تاريخ الثقافة المعاصرة) / العدد: / صفحة: ٢٧٨،

كما هو الحال عند السيّد جمال الدين الأفغاني قام سيّد قطب بكسر الحواجز والحدود الجغرافية، حيث كان يعتقد أنّ كلّ مكان يتواجد فيه المسلم فهو جزء من الوطن الإسلامي، وأنّ الهجوم على إحدى البلدان الإسلامية هو هجوم على الإسلام.

إبّان حركة الأحداث التي انتهت بتأميم النفط في إيران وجّه سيّد قطب رسالة إلى السيّد أبي القاسم الكاشاني أعلن فيها عن دعمه وتأييده لحركة تأميم النفط الإيراني، في رسالته هذه ذكر سيّد قطب عدّة نقاط هامّة للغاية، معتقداً أنّ نهضة التأميم للنفط الإيراني نهضة (وطنية)، بل هي نهضة إسلامية بقيادة عالم دين.

يرى سيّد قطب في حركة التأميم هذه خطوة هامّة على طريق إقامة النظام الإسلامي، وإنجازاً على مستوى قطع الأيادي الأجنبية من موارد وثروات إيران. كما دعا في هذه الرسالة المسلمين إلى الوحدة وتجنّب الفرقة والاختلاف.

ونظراً لأهمية المواضيع التي تضمّنتها هذه الرسالة، نشير هنا إلى نصّها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ اللهِ وَالفَتْحِ﴾(١)

إلى آية الله الكاشاني:

ها هي بوارق الأمل تلمع في الأُفق بالرغم من جميع الغيوم التي راحت تتلبّد في السماء لتنشر الظلام. نعم، إنّ آفاق الوطن الإسلامي تلوح بتباشير أمل العودة إلى الإسلام.. المسلمون في هذه الأيّام بدأوا يتوجّهون نحو الإسلام قليلاً قليلاً، الإسلام هو المحضن الذي عندما ابتعد عنه المسلمون فقدوا مكانتهم وعزّتهم، وها هم المسلمون يعودون إلى الإسلام، ويسعون في رفع شعاره في أرجاء المعمورة. ليس فقط علماء وطلّاب المراكز الدينية هم الذين يدعون إلى

← نقلاً عن مجلّة «مصر الفتاة»، ٦ / سبتامبر / ١٩٥١ م.

(١) سورة النصر ١١٠: ١.

وحدة العالم الإسلامي وتشكيل جبهة قوية، وليسوا فقط هم الأُخوان المسلمين، كثيرون هم الذين آمنوا بالإسلام عقيدةً وفكراً، حتّى أنّ البعض منهم أحزاباً وجمعيات وشخصيات لا يتبنّون الإسلام ومنهج الإسلام، هؤلاء أيضاً يرون كذلك. وهذا يدلّ على أنّ الأُمّة الإسلامية بدأت تستعيد شخصيتها وهويتها بعد ضياع عاشته، وراحت تتّجه برمّتها هذا التوجّه.

إنّ أهمّ خطوة قامت بها الإمبريالية تجزئة الوطن الإسلامي الكبير إلى بلدان صغيرة ذات توجّهات وطنية ضعيفة، وأمّا الوطن الإسلامي الكبير فأُهمل أمره.

وبذلك استطاع الاستعمار أن يحطّم صرح الوحدة التي بناها الإسلام العزيز، الوحدة التي لا يعرف فيها للعنصر والدم واللون واللغة أيّ وزن وأيّ قيمة، فالجميع يرفع شعاراً واحداً.

ولم يكن للإمبريالية أن تلعب غير هذه اللعبة لعبة التجزئة، وذلك لأنّها لا تستطيع أن تبتلع هذا الكيان الإسلامي الضخم والمتوحّد، ولكن عندما راحت تعزف على نغمات القومية انفرط عقد الأُمّة، وأضحت لقمة سائغة لكلّ من يشتهي ويريد.

ثمّ إنّ كلّ واحد من هذه البلدان الصغيرة واجهت مشاكل وتعقيدات داخلية، فراح كلّ بلد يواجه هذه المشاكل دون أن تكون هناك راية توحّدهم أو قبلة تجمعهم، فاضطرّوا أن يواجهوا الاستعمار فرادى ووحداناً. وقد اتّخذت هذه المواجهة أنماطاً مختلفة، من قبيل: تقديم شكوى إلى مجلس الأمن، أو الاستعانة بـ«الأُمم المتّحدة»، أو اللجوء إلى محكمة «لاهاي» الدولية، ولم تجنِ من جميع ذلك إلّا الفشل والخيبة. وذلك لأنّ الإمبريالية كان لها وجود قوي ومنسجم في جميع هذه المراكز. القومية هي الأداة التي استطاع الغرب من خلالها أن يخدع الشرق المستضعف، والحال أنّ الغرب ما فتئ يذكّر الشعوب الغربية بالصليبية حتّى

يستنهضهم من أجل أن يواجهوا الإسلام مواجهة رجل واحد.

كلّ واحدة من هذه الدويلات تواجه تحدّيات، حيث الظلم الداخلي والمشاكل الاجتماعية، ممّا يستدعيها أن تفكّر في حلول لدرء هذه التحدّيات، وعادة ما كانت الحلول ناقصة وسقيمة؛ لأنّها حلول لا تلتئم مع ظروف وطبيعة العالم الإسلامي، حلول هي في الواقع مستمدّة من الفكر المادّي الذي قامت عليه الحضارة الغربية، والتي هي السبب في بروز المشكلة الاجتماعية أساساً.

إنّ الحلول المستوردة تحت عناوين من قبيل الديمقراطية والاشتراكية وفي بعض الأحيان الشيوعية لا يمكنها أن تثمر في إطار الاجواء والظروف الإسلامية.

وماذا عن النتيجة؟ النتيجة هي ما نشهده اليوم من التفتّت والتجزئة التي يعيشها العالم الإسلامي، والتوحّد والانسجام الذي عليه العالم الصليبي.

ضعف الدول الإسلامية وقوّة الاستعمار، نهب ومصادرة ثروات وموارد الدول الإسلامية من قبل الدول الاستعمارية: بريطانيا، وأمريكا، وغيرهما.

النتيجة أنظمة ضعيفة وغير مستقلّة تحكم مصر والعراق ذات مواقف هزيلة. وتدهور الأوضاع في داخل البلدان الإسلامية حمل المسلمين على معالجة هذه الأوضاع، فراح البعض منّا يحاول مواجهة المشاكل باسم الإسلام، والبعض الآخر باسم الاشتراكية، فيما ظهرت جماعة ثالثة تدعو بالخفية إلى الشيوعية. وفي المقابل اصطفّت ثلّة من البرجوازيّين والإقطاعيّين والرأسماليّين، يحاولون إثارة الفتنة بين تلك الجماعات؛ ليكونوا هم المستفيدين.

وبين مدّة وأُخرى تصدر أصواتٌ من هنا وهناك تردّد دعاوى تحذّر فيها من المدّ الإسلامي، وتنذر الشعب أنّنا إذا رفعنا شعار الإسلام فمعنى ذلك أنّنا جلبنا لأنفسنا عداء الإمبريالية والعالم الغربي، وكأنّ الغرب قد سقانا قبل الآن كأس الحبّ والمودّة!

ثمّ يحذّرونا خطر التقسيم في البلد الواحد، وكأنّنا حتّى اليوم نعمل في جبهة واحدة، ولا تتقاسمنا الأحزاب والتيّارات!

يحذّرونا أنّ الأوضاع ستسوء أكثر، ويذكّروننا حكم البغي عـلى «الدولة الإسلامية»، وخطر الظلم والاضطهاد، وكأنّنا اليوم نعيش قمّة الحرّية!

يحذّروننا من «علماء الدين المحترفين»، وكأنّنا اليوم لا نذوق مـنهم كـلّ ويل ومرارة!

ولا شكّ أنّ جميع هذه التحذيرات هي طبول خالية، المسـتفيد مـنها هـي الإمبريالية التي باتت تخاف من أن يتّحد المسلمون تحت راية الإسلام.

لقد أدرك المستعمرون أنّه قبل السيطرة على أراضي وبلدان المسلمين لابدّ من القضاء على راية القرآن؛ لأنّه إذا اهتزّت هذه الرايـة مـرّة أُخـرى فسـيولّي الاستعمار إلى حيث لا رجعة.

لقد أدرك الغرب أنّ الوطن الإسلامي إذا توحّد فسيحصل على موقع ممتاز، سواء من الناحية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، فالغرب يعلم مدى وفرة الموارد المادّية والإنسانية الموجودة في العالم الإسلامي، كما يدرك تماماً كيف أنّه إذا اجتمع مائة مليون إنسان تحت راية واحدة وفي ظلّ عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد فستتغيّر معادلات القوى لصالح هؤلاء.

وواضح أنّ المعسكرين الشيوعي والرأسمالي يخافان من ذلك اليوم الذي يمسك فيه الإسلام بمقاليد الحكم، حيث سيقضي على الأُسس الاقتصادية التي تنتج الربا والاحـتكار والاسـتغلال اللامشـروع، ليـقيم عـلى أنـقاضه الأُسس الإسلامية التي لا مجال فيها للمحتكرين والمستغلّين والمرابين.

كما يدرك الغرب جيّداً أنّه لو قدّر للإسلام أن يحكم، فإنّ مساحات شاسعة من العالم من السواحل الأطلنطية وحتّى شواطئ المحيط الهادئ سـتتحرّر مـن قبضة الهيمنة الغربية، وستبوء مخطّطاتها الاقتصادية بالفشل. وكما تحرّرت دول

المعسكر الشرقي بنحو من الأنحاء من سيطرة العالم الرأسمالي، فإنّ بلداناً أُخرى سوف تتحرّر، وسيفقد العالم الرأسمالي جزءاً من نفوذه، وتنحسر حدوده الجغرافية إلى ما هو أقلّ ممّا عليه اليوم.

لو أنّ العالم الإسلامي خرج عن دائرة نفوذ الرأسمالية الغربية فأيّ شيء يبقى لها؟ لا شكّ أنّ الغرب سيصاب بالخناق وسيسقط بالكامل.

من هنا بالذات فإنّ الإمبريالية تخشى من حاكمية الإسلام، وتخاف أن يخرج العالم الإسلامي من غفلته ويهبّ للقضاء على الرأسمالية.

وأمّا الشيوعية فهي تخاف على كيانها؛ لأنّها تعي جيّداً أنّ استمرار حياتها في العالم مرتهن بوجود المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، أمّا في المجتمع الذي يتمتّع باستقرار وتوازن في القوى الاقتصادية، لا تحتكر فيه الثروات ولا تستدرّ الأرباح الطائلة، ولا أثر للربا والاستغلال، ولا توجد علاقات ظالمة بين العمّال وربّ العمل، بل هناك علاقات صحيحة وطيّبة، فلا يمكن ـ والحال هذه ـ للشيوعية أن تحيا في مثل هذه الأجواء، بل سيؤول أمرها إلى الزوال.

إذا قُيض للإسلام أن يقيم مجتمعه على أُصوله ومرتكزاته الصحيحة فسوف نحصل على مجتمع خالٍ من الطبقية، وذلك لأنّه لا يوجد أيّ تضاد أو صدام بين مصالح العمال ومصالح الأثرياء وأصحاب رؤوس الأعمال. العمّال لهم حصّة من الأرباح، ولهم الحقّ أن تكون لهم بعض أسهم في المعمل أو الشركة في هكذا مجتمع، فيضحى الإسراف والبخل حرامين ومبغوضين، وأمّا المجتمع الذي تُدخر فيه الثروات والخيرات، لانعدام الربا والاحتكار والظلم في أُجور العمل، فهو مجتمع متوازن باعتبار أنّ الحكومة ملزمة بأنّه متى ما اختلّت موازنات الثروة فإنّها سوف تسعى لرفع الاختلال هذا من خلال إبداع أساليب وآليات تتكفّل بإعادة النظام إلى وضعه الطبيعي. في هذا المجتمع يتمّ تأميم جميع مرافقه العامّة، وتسود فيه الملكية العامّة بدلاً من الملكية الخاصّة أو الانحصارية.

فإذا أضحى المجتمع بهذه المواصفات فإنّ احتمال وقوعه فريسة للشيوعية احتمال ضعيف، بل غير ممكن. ومن هنا بالذات نجد أنّ الشيوعية ـ كما هو الحال عند الرأسمالية ـ تعادي فكرة الوحدة الإسلامية وفكرة قيام حكومة إسلامية، وتسعى عبر منابرها الإعلامية أن تقلّل من قيمة ومصداقية الفكر الإسلامي، وتعطي طابعاً بأنّه لامجال لتطبيق الإسلام، ولذا فهي تتّفق مع الرأسمالية في ذلك.

إلّا أنّه وفي زحمة هذه التجاذبات والانتهاكات السافرة ها نحن ننصت لصيحات تتعالى من داخل العالم الإسلامي تدعو إلى إقامة صرح الوحدة الإسلامية وتأسيس حكومة إسلامية واحدة.

وهنا لابدّ من القول: بأنّ هذا المطلب لم يعد مطلب الإخوان المسلمين فقط، كما ليس هو مطلب علماء ومفكّري ومبلّغي الإسلام فقط، بل هو مطلب ينبع من وجدان الأُمة الإسلامية وضميرها.

ها هي حكومة الباكستان تدعو إلى إقامة مؤتمر في الاقتصاد الإسلامي من أجل إعادة بناء النظام الاقتصادي العالمي على أُسس وأُصول إسلامية، وهذا يتّفق مع ما يدعو إليه آية الله الكاشاني الزعيم الديني في إيران، وهو يصرخ بوجه «الكلاب الإنجليزية» أن يخرجوا لا من إيران فقط، بل من العالم الإسلامي بأجمعه. وها هو يوجّه نداءه المشجّع ونصائحه لرئيس الوزراء المصري، ويقيم تظاهرات في شوارع إيران لصالح مصر ولصالح قضيتها العادلة. وما يريده هو نفس ما يدعو إليه علال الفاسي[1] ومحمّد الوزاني في المغرب.

---

(١) علال الفاسي: رجل سياسي مغربي. ولد عام ١٩٠٦ م، وقاوم الاستعمار الفرنسي، فاعتقله الفرنسيّون عام ١٩٣٨م، ونفوه إلى مستعمرة الغابون الأفريقية، حيث قضى تسعة أعوام، عاد بعدها إلى طنجة عام ١٩٤٦ م، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، والتجأ إلى مدينة القاهرة عام ١٩٤٧ م، وتابع فيها نضاله الوطني، حتّى عاد إلى المغرب بعد الاستقلال، وأصبح رئيساً ←

ونحن نعلم أنّ فرنسا عندما لم تستطع أن تجهز على المغرب (مراكش) في عام ١٩٣١م، راحت تعمل على القضاء على الوازع الديني عبر أداتها ظهير البربري.

إنّ ما يدعو إليه هؤلاء السادة هو نفس ما يدعو إليه أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي بمصر في رسالته الحارّة التي أرسلها إلى آية الله الكاشاني، حيث أشار فيها إلى أنّكم ـ أيّها السادة ـ في إيران وبمدية الإسلام قد سدّدتم طعنة نجلاء إلى الشركات النفطية التي كانت تنهب ثروات البلد. إنّ هذا نفس ما كان يدعو إليه أحمد أبو الفتح في كتابه «حكايات»، حيث كان يدعو إلى التحرّر وإقامة حكومة الإسلام والعدل.

هذه هي الصحوة.. هي الهداية.. هي النور!

ها هو ضمير الأُمّة قد استيقظ.. هذه ليست دعوة فرد ما أو جماعة، هذا نداء سماوي يهبط مرّة أُخرى إلى الأرض. هذه هي بوارق الأمل التي بدت تتلألأ في الآفاق بالرغم من سحب الظلام»[1].

← لحزب الاستقلال عام ١٩٥٦م. أيّد الملك محمّد الخامس، وعارض اعتدال الملك الحسن الثاني. توفّي في بوخارست عام ١٩٧٤ م. (موسوعة السياسة ٤: ١٥٨).

(١) مجلّة «تاريخ فرهنگ معاصر» (تاريخ الثقافة المعاصرة) / العدد: ٦ / عدد خاصّ بآية الله الكاشاني، نقلاً عن مجلّة «الرسالة» / العدد: ٩٥١، ٢٤ / ذو الحجّة / ١٣٧٠ هـ المصادف لـ ٢٥ / أيلول / ١٩٥١م.

الفصل التاسع :

نضاله السياسي

سيّد قطب وحركة «الأُخوان المسلمين»

تعدّ حركة «الأُخوان المسلمين» من الحركات التي رفعت لواء الكفاح بين عامي ١٩٣٠م ـ ١٩٦٠م، وبالرغم من أنّ مقرّها الأساس هو مصر، إلّا أنّها استطاعت أن تنشط في أغلب البلدان العربية.

ويعود تاريخ تأسيس هذه الحركة إلى شهر ذي القعدة لعام ١٣٤٧ هـ. ق، على يد الأُستاذ الشهيد حسن البنّا[1] (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ. ق) في مدينة الإسماعيلية بمصر.

---

(١) حسن أحمد عبدالرحمان البنّا الساعاتي: المرشد العامّ لجماعة الإخوان المسلمين ومؤسّسها في مصر. ولد عام ١٩٠٦ م ببلدة المحموديّة بمحافظة البحيرة، وبدأ بحفظ القرآن، ثمّ التحق بمدرسة المعلّمين بدمنهور، وانضمّ لبعض الجمعيات الدينيّة، كجمعية الأخلاق الأدبيّة وجمعية منع المحرّمات، ثمّ انضمّ إلى طريقة صوفيّة (الإخوان الحصافيّة)، وساهم في تأسيس الجمعيّة الحصافيّة الخيريّة لمقاومة المحرّمات والنشاط التبشيري المسيحي، والتحق عام ١٩٢٣ م بدار العلوم في القاهرة، وساهم في تحرير صحيفة «الفتح» الإسلاميّة. تخرّج مدرّساً بمدينة الإسماعيليّة، وأسّس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ م، ونقل مدرّساً بالقاهرة عام ١٩٣٢ م، فانتقل مركز نشاط الجماعة إليها، وأصدر صحيفة «الإخوان المسلمين»، واتّجه صراحة نحو ميدان السياسة سنة ١٩٣٨م، وأصدر صحيفة «النذير». وقعت أعمال وأحداث اغتيال سياسي وعمليات نسف نسبت للجماعة، فحلّتها وزارة النقراشي سنة ١٩٤٨م، فاغتيل الأخير في نفس السنة، وردّت الحكومة باغتيال الشيخ البنّا سنة ١٩٤٩م. (موسوعة السياسة ٢: ٥٣٢).

بدأت الحركة نشاطها في مدرسة التهذيب، ومن خلال تعليم القرآن والتجويد والحديث والتفسير وسائر العلوم الإسلامية.

في عام ١٣٥٠ هـ. ق أصدر حسن البنّا رسالة ضمّنها أهداف جمعية «الأُخوان المسلمين»، وانتخب أميناً عامّاً للجمعية. وباتّساع دائرة النشاط السياسي والديني للجمعية انتقلت تنظيمات الحركة من الإسكندرية إلى القاهرة.

في المؤتمر الرابع للأُخوان المسلمين ـ والذي انعقد عام ١٣٥٥ ﻫ. ق ـ تمّ الإعلان عن دعم وتأييد الحركة للملك فاروق.

وقد واجه هذا القرار انتقادات شديدة من قبل الكثيرين.

وفي عام ١٣٥٦ هـ. ق أصدرت الحركة في مؤتمرها الخامس قرارات هامّة، أبرزها ما يلي:

١ ـ تحرير أرض الوطن من سيطرة الأجنبي، خصوصاً بريطانيا.

٢ ـ إقامة حكومة إسلامية في مصر.

٣ ـ تبنّي قضية الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي.

٤ ـ الكفاح ضدّ الاستعمار.

٥ ـ دعم حركة الاستقلال في جميع الأقطار الإسلامية.

٦ ـ مناهضة القومية، والسعي من أجل توحيد العالم الإسلامي.

في عام ١٩٤٨م وإبّان حرب العرب مع إسرائيل، قامت حركة الإخوان بإسناد الفلسطينيّين سياسياً وعسكرياً ومادّياً. وإلى جانب ذلك اشترك العديد من كوادر الحركة في هذه الحرب إلى جانب الفلسطينيّين.

إثر هذه الأحداث والوقائع ارتفع رصيد «الأُخوان المسلمين» لدى الجماهير المسلمة بشدّة، وبنفس الدرجة نالت سخط وغضب البلاط المصري والاستعمار البريطاني. فقامت حكومة النقراشي[١] وبأمر من الملك فاروق[٢] بإصدار قرار بحلّ حركة «الأُخوان المسلمين»، فاعتقل الكثير من منتسبيها، وصودرت أموال الحركة.

وبعد مدّة قليلة تمّ اغتيال رئيس الوزراء النقراشي بيد أحد أعضاء الحركة، فجاء الردّ عنيفاً من خلال اغتيال حسن البنّا في عام ١٣٦٨ هـق.

بعد استشهاد حسن البنّا، انتخب الأُستاذ حسن إسماعيل الهضيبي[٣] أميناً

---

(١) محمود فهمي النقراشي: سياسي ورجل دولة مصري. ولد عام ١٨٨٨ م، وتلقّى تعليمه بالإسكندرية والقاهرة ولندن، وانضمّ إلى الوفد عام ١٩١٩ م، واختير وكيلاً لوزارة الداخلية في عهد سعد زغلول، واختير في عام ١٩٣٨ م وزيراً للداخلية فالمعارف المالية فالخارجية عام ١٩٤٤ م. أصبح رئيساً للوزراء بعد مصرع أحمد ماهر عام ١٩٤٥ م. اغتاله عام ١٩٤٨ م أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بعد عشرين يوماً من حلّها من قبله. (موسوعة السياسة ٦: ١١٣ ـ ١١٤).

(٢) فاروق بن فؤاد: ملك مصر. ولد عام ١٩٢٠ م بالقاهرة، وسافر عام ١٩٣٥ م إلى لندن للدراسة، وعاد إلى مصر ملكاً عام ١٩٣٦ م بعد وفاة أبيه، وكان خصماً عنيداً لحزب الوفد والديمقراطية، واستند إلى ساسة، أبرزهم: علي ماهر، وأحمد حسنين، وعمل على تملّق العواطف الدينية للجماهير، إلّا أنّها رفضته؛ لاستبداده وما عرف عنه من مجون. وقد استغلّ سلطته في نهب الثروات الزراعية وغيرها، فأجبرته ثورة ٢٣ يوليو على التنازل من عرشه لابنه سنة ١٩٥٢ م، ثمّ أُلغيت الملكية وقامت الجمهورية عام ١٩٥٣م. توفّي سنة ١٩٦٥ م. (موسوعة السياسة ٤: ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٣) حسن الهُضَيبي: المرشد الثاني لحركة الإخوان المسلمين المصرية. ولد عام ١٨٩١ م، ←

عامّاً للحركة.

في خصوص موقفهم إزاء الانقلاب العسكري الذي قاده الضبّاط الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر[١] عام ١٩٥٣م / ١٣٧١ هـ ق أعلن الأُخوان عن دعمهم وتأييدهم لهذا الانقلاب. وغداة انتصار الانقلاب العسكري ووصول جمال عبدالناصر إلى السلطة قطف الأُخوان ثمار هذا الموقف، حيث أجاز جمال عبدالناصر لحركة الأُخوان استئناف نشاطهم الحركي والسياسي، في الوقت الذي حظر فيه جميع نشاطات الأحزاب والحركات الأُخرى[٢].

وصادف أن يقتل حسن البنّا وسيّد قطب في أمريكا، فلاحظ سيّد أنّ الصحافة الأمريكية كانت مسرورة ومستبشرة من استشهاد حسن البنّا، وكذا الحال بالنسبة للشيوعيّين والصهاينة الذين كانوا يضادّون توجّهات وأهداف حركة «الأُخوان المسلمين»، فقرّر أن ينضمّ إلى حركة الأُخوان ما أن يكتب له

← واستلم الحركة بعد اغتيال مؤسّسها حسن البنّا عام ١٩٤٩ م وقد شهد عهده تحوّلات السياسة المصريّة إبّان حكم محمّد أنور السادات والانفتاح على الغرب. وتولّى الحركة من بعده سيّد قطب. توفّي في القاهرة سنة ١٩٧٣ م. (ملحق موسوعة السياسة: ٦٧٩).

(١) جمال عبدالناصر بن حسن بن خليل بن سلطان عبدالناصر: سياسي مصري شهير. ولد في أسيوط سنة ١٩١٨ م، وتخرّج سنة ١٩٣٨ م من الكلّية الحربية في القاهرة. قام بإعلان الثورة على الملك فاروق سنة ١٩٥٢ م، وتسلّم زمام الأُمور من محمّد نجيب بالقوّة سنة ١٩٥٤ م، وأمّم قناة السويس، وأعلن الوحدة المصرية ـ السورية، وبنى السدّ العالي، وقام في زمنه العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م. توفّي على أثر سكتة قلبية عام ١٩٧٠ م. (الأعلام للزركلي ٢: ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) دائرة المعارف بزرگ إسلامي (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) ٧: ٢٧١.

العودة إلى الوطن. وبعد عودته من أمريكا عام ١٩٥١م انضمّ إلى الحركة بشكل رسمي.

تجدر الإشارة إلى أنّه قبل انضمامه إلى الحركة كانت تربطه بالأُخوان علاقة صداقة، وكان يكنّ لهم كثيراً من الحبّ والاعتزاز، حتّى أنّه كثيراً ما كان يكرّر هذه المقولة: «لقد ولدت بعد عام ١٩٥١م»[١].

بعد انتسابه إلى الحركة شغل في البداية منصب عضو في مكتب الإرشاد، ومن ثمّ صار رئيساً لأُسرة تحرير مجلّة «الدعوة» الناطقة باسم «الأُخوان المسلمين».

الاعتقال

إثر المقالات الحادّة والصريحة التي كان يكتبها سيّد قطب في الصحف، والتي تتضمّن انتقادات لاذعة لسياسة بريطانيا الاستعمارية، ودعوة إلى تشكيل دولة إسلامية، اعتقل سيّد قطب بمعيّة حسن الهضيبي، وذلك في عام ١٩٥٤م، وحكم عليهما بالسجن خمسة عشر عاماً، وتمّ نقلهما إلى سجن قديم ـ يعود تاريخ بناء هذا السجن إلى ٥٠٠ عام ـ في منطقة «ليمان طرّة».

وفي السجن لم يتوقّف سيّد قطب عن التأليف، فألّف تفسيره القيّم «في ظلال القرآن». وبعد مضي خمسة أعوام على سجنه أُصيب بأمراض رئوية، كما

(١) المصدر السابق ٧: ٢٧١.

أخذ يعاني من صعوبة في التنفّس. وإثر ذلك تمّ نـقله إلى المسـتشفى بأمـر مـن الأطبّاء، واستمرّ به المرض حتّى عام ١٩٦٤م، وكان يخاف عليه من الموت.

وبتدهور وضعه الصحّي قام الأُخوان بمصر بالاتّصال بالأمين العامّ لحركة «الأُخوان المسلمين» بالعراق الأُستاذ أمجد الزهّـاوي، طـالبين مـنه أن يـتّصل برئيس الجمهورية العراقية آنذاك عبدالسلام عارف[1]، ويطلب منه أن يـتوسّط عند جمال عبدالناصر في خصوص إطلاق سراح سـيّد قـطب. وبـالفعل تـوسّط عبدالسلام عارف لدى الحكومة المصرية، وأُطلق سراح سيّد قطب من السجن في عام ١٩٦٤م.

بعد إطلاق سراحه من السجن حدث اختلاف داخل الحركة حول ضرورة استمرار الحركة في منهاجها الذي عليه، فكان الأُستاذ عبدالفتّاح إسماعيل ولفيف من الأُخوان يرى ضرورة الاستمرار في الجهاد والثورة، وفي المقابل كان هناك من يرى غير ذلك. وأمّا سيّد قطب فنظراً للروح الجهادية والثورية التي كان يتحلّى بها التحق بعبد الفتّاح إسماعيل، وألّف كتاب «معالم في الطريق».

---

(١) عبدالسلام عارف: عسكري ورجل دولة عراقي. ولد سنة ١٩٢١ م في بغداد فـي وسـط بورجوازي صغير لعائلة تنتسب لقبائل الجميلة من منطقة الرمادي. التـحق بـالأكـاديمية العسكرية وبكلّية الأركان، وخدم كضابط في الجيش العراقي في حرب فلسطين، وذلك في عام ١٩٤٨ م، وانضمّ إلى الضبّاط الأحرار عام ١٩٥٧ م، ولعب دوراً أساسياً في ثورة ١٤ / تمّوز / ١٩٥٨ م، فعيّن نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، ونصّب عام ١٩٦٣ م رئيساً للدولة. توفّي عام ١٩٦٦ م بحادث طائرة أثناء تجواله في منطقة القرنة وسط عاصفة رملية. (موسوعة السياسة ٣: ٨٣٤ ـ ٨٣٦).

في كتابه هذا أكّد سيّد قطب بصراحة وشجاعة تامّة على ضرورة العمل على تغيير نظام الحكم وإقامة نظام إسلامي.

وبتواصله مع نشاطاته ومشواره الجهادي أخذت أفكاره وآراؤه طريقها في التأثير على الجماهير المسلمة، وشكّلت مرجعية كبرى، خصوصاً بالنسبة للشباب، سواء في مصر أم في البلدان العربية.

بتاريخ ١٩٦٥/٨/٩م القي أُلقبض على سيّد قطب للمرّة الثانية، وأُودع السجن، وخرجت الحركات الشيوعية بمصر والتي كانت تنصب العداء الشديد لأفكار سيّد قطب بتظاهرات تطالب فيها جمال عبدالناصر قائلة: «يا جمال، اذبح اذبح!».

وبتاريخ ١٩٦٥/١٢/١٩م بدأت الحكومة باستجواب سيّد قطب ورفاقه، وانتهت عملية الاستجواب بتاريخ ١٩٦٥/١٢/٢٠م.

في إجابته على الأسئلة بقي سيّد قطب شجاعاً وصريحاً، كما كان معهوداً منه قبل ذلك.

وكمثال على ذلك: سأله ضابط التحقيق: «ما هو الهدف الذي تبغيه أنت ورفاقك من النشاطات التي تقومون بها»؟ فأجابه سيّد: «الهدف النهائي الذي اتّفقنا عليه هو إقامة نظام إسلامي، يحكم بحكم الشرع، ويقام على أساس منهاج التربية الإسلامية».

فسأله الضابط: «إذا كان هدفكم هو التربية الدينية والأخلاقية فلماذا كانت نشاطاتكم سرّية»؟

فأجابه سيّد قطب: «نحن نعتقد ـ وفي ضوء التجارب السابقة ـ أنّ أجهزة التجسّس الصليبية والصهيونية والشيوعية تعادي كلّ فكر إسلامي وكلّ تربية إسلامية ثورية، ولا تسمح بإقامة نظام إسلامي».

المحقّق: «هل تعتقد أنّ تغيير النظام الحاكم أمر ضروري»؟

سيّد قطب: «نعم، أنا أرى أنّه لابدّ من العمل على تغيير النظام الحاكم، وإقامة نظام حكم إسلامي كبديل عنه».

المحقّق: «ما هو الطاغوت»؟

أجابه سيّد قطب: «إنّ كلّ شرعة غير شرعة الله هي طاغوت».

المحقّق: «ما هو رأيك في خصوص الوطن»؟

سيّد قطب: «وطني يبتني على أساس العقيدة، لا على أساس الإقليم والأرض. ومن الواجب أن نغيّر مفهوم الوطن، ونخرجه من طابعه الإقليمي إلى مفهومه العقائدي الواسع».

المحقّق: «هل استفدت من أفكار أبي الأعلى المودودي»؟

سيّد قطب: «لقد أفدت من المودودي في تأليفاتي كثيراً».

المحقّق: «هل هناك فرق بين أفكارك وأفكار أبي الأعلى المودودي»؟

سيّد قطب: «لا يوجد أيّ فرق».

المحقّق: «ما هو معنى الشهيد»؟

سيّد قطب: «الشهيد هو الشخص الذي يشهد بأنّ شريعة الله أفضل وأسمى من حياته الدنيوية».

وبعد إتمام التحقيقات والتحرّيات نقل سيّد قطب ورفاقه إلى السجن، وهناك عرّضوا للتعذيب الشديد، حتّى أنّهم قاموا بقتل ابن أُخته رفعت أمام عينيه.

الشهادة

وأخيراً وبعد مضي أربعة أشهر وبتاريخ ١٩٦٦/٨/٢١م، أصدر القاضي فؤاد الدجوي أحكاماً، هي كما يلي: حكم الإعدام بحقّ سيّد قطب، ومحمّد يوسف هوّاش، وعبدالفتّاح إسماعيل، وأمّا سائر المعتقلين فحكم عليهم بالسجن بمدد تتراوح بين عشرة سنوات والسجن المؤبّد. وعندما قرئ حكم المحكمة قال سيّد قطب (ما هو مضمونه):

«كنت متيقّناً من أنّ السلطة الحاكمة لا تريد لي البقاء حيّاً. وأنا أعلن للمرّة الثانية أنني لست متأسّفاً ولا نادماً، ولست حزيناً بسبب هذا الحكم، بل أنا فرح ومسرور؛ لأنّي أُقتل في سبيل هدفي المقدّس. والتاريخ سيقضي بيننا وبين الحكومة من هو الصادق ومن هو المحقّ»[١].

وبعد قراءة حكم كلّ من سيّد قطب ومحمّد يوسف هوّاش وعبدالفتّاح إسماعيل تمّ نقلهم إلى السجن؛ لتطبيق الحكم بحقّهم.

وفي السجن لم يكن سيّد قطب مغموماً، بل كان مسروراً. قال له أحد أصدقائه: «كيف وجدت حكم الإعدام»؟ فأجابه: «الشكر لله، فأنا كنت أتمنّى

---

(١) ما چه مي‌گوييم (ماذا نقول؟): ٢٢ (الترجمة الفارسيّة لكتاب دراسات إسلاميّة).

الشهادة منذ خمسة عشر عاماً».

طلب منه البعض أن يقدّم اعتذاره عن أعماله التي قام بها، فأجابهم: «لن أعتذر عن العمل الذي قمت به في سبيل الله».

وجاء يوم الإعدام، وذلك بتاريخ ١٩٦٦/٨/٩م[١].

عند طلوع الشمس سيق كلّ من سيّد قطب ورفيقيه محمّد يوسف هوّاش وعبدالفتّاح إسماعيل إلى محلّ الإعدام، وقف سيّد قطب منتصب الرأس مبتسماً، وأخذ يقرأ بعض الشعر على مسامع الجنود، ويحكي فيه عن بطولته واستقامته.

بعد ذلك تمّ توجيه البنادق نحوه، ومع دوي الرصاص انتقلت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى، وكانت الشهادة.

---

(١) رويدادها (الوقائع): ١٠٧.

الفصل العاشر :

تراثه الفكري

لقد كان حصاد المفكّر الشهيد سيّد قطب طيلة نصف قرن من عمره أكثر من خمسة مائة مقال وخمسين كتاباً في مختلف الموضوعات الأدبية والإسلامية والاجتماعية والسياسية. وقد أُعيد طبع بعض تأليفاته عدّة مرّات في كافّة أرجاء العالم وبلغات عديدة.

وإذا تأمّلنا في تأليفات وتراث سيّد قطب فسنجد أنّها اتّخذت منحىً تكاملياً، بمعنى: أنّه في البداية كان يمارس تأليف كتب أدبية، ثمّ شيئاً فشيئاً دخل مجال الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية.

ويمكن تقسيم تراث سيّد قطب إلى قسمين:

أ ـ الكتب التي طبعت أيّام حياة سيّد قطب:

١ ـ مهمّة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر.

كتاب في الأدب، طبع في القاهرة عام ١٩٣٢ م. وهو بالأصل المقال الذي قرأه سيّد قطب في مؤتمر أُقيم في كلّية دار العلوم.

٢ ـ الشاطئ المجهول.

طبع في القاهرة عام ١٩٣٥م، وعدد صفحاته ٢٠٨ صفحة.

موضوع الكتاب أدبي، والكتاب هو أوّل ديوان شعر لسيّد قطب، طبع مرّة واحدة. ولما كانت بعض قصائد هذا الكتاب لا تنسجم مع الخطّ الإسلامي، لذلك قام سيّد قطب في مقدّمة كتابه بنقد بعض القصائد، ولم يسمح بإعادة طبع الكتاب.

وفي الوقت الراهن توجد من هذا الكتاب نسختان فقط، واحدة في مكتبة الكونغرس الأمريكي، والأُخرى في مكتبة لندن.

٣ ـ نقد كتاب «مستقبل الثقافة في مصر».

طبع في القاهرة عام ١٩٣٩م.

قصّة الكتاب هي أنّ طه حسين في عام ١٩٣٨م ألّف كتاباً أسماه «مستقبل الثقافة في مصر». في هذا الكتاب أبدى طه حسين رغبة شديدة بالثقافة الغربية، وادّعى أنّنا مضطرّين إلى القبول بها، وأنّه لابدّ أن نصبح غربيّين من أعلى هامتنا وحتّى باطن أقدامنا! ومن هنا جاء كتاب سيّد قطب ردّاً على هذا الكتاب.

٤ ـ التصوير الفنّي في القرآن.

طبع في دار المعارف لعام ١٩٤٥م.

الكتاب في الأصل عبارة عن مقال نشره سيّد قطب في مجلّة «المقتطف» في عام ١٩٣٩م. وهذا الكتاب يعدّ المحاولة الكتابية الأُولى لسيّد قطب في مجال علوم الإسلام.

يُعنى المؤلّف في كتابه ببيان الموارد الجمالية في الكتاب العزيز الفنّية منها والأدبية. ويرى الكثير من الباحثين أنّ هذا الكتاب إنّما هو كشف وإبداع، وليس تأليفاً.

تمّ ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بواسطة محمّد مهدي فولادوند، وقامت مؤسّسة القرآن بطبعه.

٥ ـ الأطياف الأربعة.

نشر جامعين / القاهرة / عام ١٩٤٥م.

يقع الكتاب في أربعة فصول: الفصل الأوّل: مجموعة ذكريات حميدة،

الفصل الثاني: خاصّ بذكريات أمينة، الفصل الثالث: ذكريات محمّد، والفصل الرابع: يعنى بذكريات سيّد قطب.

حول هذا الكتاب يقول الأُستاذ وديع فلسطين: «كتاب الأطياف الأربعة» كتاب مريح وممتع جدّاً، بدرجة أنّ القارئ يطيب له أن يقرأ فصوله عدّة مرّات. كما أنّ أشعار وقصائد الكتاب تحكي عن المواهب الشعرية والذكاء الخارق لهؤلاء الأربعة.

٦ ـ طفل في القرية.

نشر جامعين / القاهرة / عام ١٩٤٦م.

الكتاب عبارة عن ترجمة حياة سيّد قطب منذ عهد الطفولة وحتّى هجرته إلى القاهرة.

٧ ـ المدينة المسحورة.

نشر دار المعارف / مصر / عام ١٩٤٦م.

رواية حبّ تدور بين شهريار وشهرزاد[١].

٨ ـ كتب وشخصيّات.

طبع في القاهرة لعام ١٩٤٦م.

الكتاب مجموعة مقالات كتبها سيّد قطب ونشرها في مجلّات متعدّدة منذ

---

(١) شهرزاد: راوية ألف ليلة وليلة. تزعم الأُسطورة أنّها استطاعت أن تثني الملك شهريار عمّا درج عليه من الزواج كلّ يوم بعذراء وقتلها إثر ذلك انتقاماً لنفسه من خيانة زوجته الأُولى، وقد وفّقت لهذا بأن أخذت تروي للملك كلّ ليلة قصّةً ثمّ تقطعها حين يدركها الصباح لتستأنف القصّة في الليلة التالية، وهكذا إلى أن أتىٰ عليها ألف ليلة، فاستعقلها ومال إليها واستبقاها. (موسوعة المورد ٨: ٢٢١).

عام ١٩٤٢م، وحتّى عام ١٩٤٦م. وموضوع الكتاب نقد أدبي لكبار الأُدباء في مصر.

٩ ـ أشواك.

بطبع دار السعد في القاهرة.

وهي رواية حبّ تدور بين شاب يعشق بنتاً تدعى «سميرة».

١٠ ـ مشاهد القيامة في القرآن.

بطبع دار السعد في القاهرة لعام ١٩٤٧م.

الكتاب متمّم ومكمّل لكتاب «التصوير الفنّي في القرآن».

في هذا الكتاب يبحث المؤلّف مائة وخمسين مشهداً من مشاهد القيامة، مستفيداً من ثمانين سورة من سور القرآن.

في مقدّمته على الكتاب يبحث المؤلّف موضوع الآخرة في الأديان السابقة والقرآن.

الكتاب ترجم إلى اللغة الفارسية بقلم الأُستاذ غلام رضا خسروي حسيني.

١١ ـ روضة الطفل.

بطبع دار المعارف ـ مصر لعام ١٩٤٧م.

موضوع الكتاب سلسلة قصص للأطفال، وقد قام سيّد قطب بتأليف هذا الكتاب بمساعدة كلّ من أمينة سعد ويوسف مراد.

١٢ ـ القصص الديني للأطفال.

نشر مكتبة سعد في القاهرة لعام ١٩٤٧م.

الموضوع قصص الأنبياء بلغة مبسّطة تتناسب مع أعمار الأطفال.

يشتمل الكتاب على ثماني عشرة قصّة بدءً بالنبي آدم عليه السلام وانتهاءً بالنبي

الأكرم محمّد ﷺ. وساهم في تأليف الكتاب السيّد عبدالحميد جودة السحّار.

١٣ ـ الجديد في اللغة العربيّة.

١٤ ـ الجديد في المحفوظات.

نشر وزارة التعليم والتربية المصرية ـ القاهرة.

تمّ تأليف الكتابين بطلب من وزارة التعليم والتربية بمصر كمنهج دراسي للتلاميذ. وبقي الكتاب يدرّس في مدارس مصر حتّى عام ١٩٦٥م.

١٥ ـ النقد الأدبي.. أُصوله ومنهاجه.

طبع الكتاب في مصر عام ١٩٤٨م.

وموضوعه يدور حول أُصول ومرتكزات النقد الأدبي المعاصر.

١٦ ـ العدالة الاجتماعيّة في الإسلام.

طبع في دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٤م.

وهو أوّل كتاب لسيّد قطب يعنى بفكرة النظام الإسلامي.

بعد الحرب العالمية الثانية اتّسعت فجوة الاختلاف الطبقي بمصر، حيث الغالبية فقيرة، وأقليّة من الناس لديها ثراء فاحش.

كان سيّد قطب يراقب هذه الظواهر في مجتمعه، وأخذ يفكّر في وضع الحلول لهذه المعاناة، فوجد أنّ السبيل الوحيد لحلّ هذه الأزمة يكمن في تحقيق العدالة الاجتماعية، فكتب هذا الكتاب.

في هذا الكتاب قام سيّد قطب بدراسة مكانة وحقيقة العدالة الاجتماعية في الإسلام.

ترجم هذا الكتاب من قبل فاضلين من فضلاء الحوزة العلمية، وهما محمّد علي گرامي وهادي خسروشاهي، وأُعيد طبعه خمس وعشرين مرّة حتّى الآن.

١٧ ـ معركة الإسلام والرأسماليّة.

يرى سيّد قطب أنّ المشكلة الاقتصادية في بعض وجوهها تكمن في الطريقة التي يتعامل بها أصحاب رؤوس الأموال في الأُمور الاقتصادية.

يُعنى هذا الكتاب ببحث وجهة نظر الإسلام في خصوص رأس المال.

وقد قام سماحة السيّد محمّد الشيرزاي ﵀ بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية، وطبع بطهران.

١٨ ـ السلام العالمي والإسلامي.

نشرته دار الكتاب العربي بمصر لعام ١٩٥٠م.

في هذا الكتاب يحاول سيّد قطب الإجابة على هذا السؤال: ما هو وجه المشكلة في السلام العالمي؟ وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب يكشف المؤلّف النقاب عن السياسة الاستعمارية في المنطقة، وطبيعة المؤامرات التي تحيكها في سبيل السيطرة على الموارد المالية والاقتصادية لبلدان العالم الثالث.

والملاحظ أنّ الرقابة حذفت هذا الفصل في الطبعات اللاحقة للكتاب، وذلك بأمر من دوائر المخابرات الأمريكية.

ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية بجهود كلّ من السيّد هادي خسروشاهي وزين العابدين قرباني، ونشرته دار «فرهنگ إسلامي» (الثقافة الإسلاميّة).

١٩ ـ في ظلال القرآن(*).

(*) في إحدى مقاطع تفسير سورة الأنعام يُورِد سيّد هذه المقولة ـ وهو يقرأ الآية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة الأنعام ٦: ١١] ـ: «إنّ السير في الأرض للاستطاع والتدّبر والاعتبار ومعرفة سُنن الله مُرتَسِمة في الأحداث والوقائع، ←

← مسجّلة في الآثار الشاخصة وفي التاريخ المرويّ في الأحاديث المتداولة حول هذه الآثار في أرضها وقومها، السير على هذا النحو لمثل هذا الهدف وبمثل هذا الوعي أُمور كلّها كانت جديدة على العرب، تصوّر مدى النقلة كالتي كان المنهج الإسلامي الرّباني ينقلهم إليها من جاهليتهم إلى هذا المستوى من الوعي والفكر والنظر والمعرفة.. لقد كانوا يسيرون في الأرض ويتنقلون في أرجائها للتجارة والعيش وما يتعلّق بالعيش من صيدٍ ورعي. أمّا أن يسيروا وفق منهج معرفي تربوي فهذا كان جديداً عليهم، وكان هذا المنهج الجديد يأخذهم به، وهو يأخذ بأيديهم من سفح الجاهلية في الطريق الصاعد إلى القمّة السامقة التي بلغوا إليها في النهاية.

لقد كان تفسير التاريخ الإنساني وفق قواعد منهجية كهذه التي كان القرآن يوجّه إليها العرب، ووفق سُنن مُطّردة تتحقّق آثارها كلّما تحققت أسبابها بإذن الله، ويستطيع الناس ملاحظتها وبناء تصوّراتهم للمقدّمات والنتائج عليها ومعرفة مراحلها وأطوارها. كان هذا المنهج برمّته في تفسير التاريخ شيئاً جديداً على العقل البشري كلّه في ذلك الزمان، إذ كان قُصارى ما يُروَىٰ من التاريخ وما يُدَوّن من الأخبار مجرّد مشاهدات أو روايات عن الأحداث والعادات والناس، لا يربط بينها منهج تحليلي أو تكويني يحدّد الترابط بين الأحداث، كما يحدّد الترابط بين المقدمات والنتائج وبين المراحل والأطوار، فجاء المنهج القرآني ينقل البشرية إلى هذا الأُفق ويشرّع لهم منهج النظر في أحداث التاريخ الإنساني. وهذا المنهج ليس مرحلة في طرائق الفكر والمعرفة، إنّما هو (المنهج)، هو الذي يملك وحده إعطاء التفسير الصحيح للتاريخ الإنساني».

ويزيد هذا النصّ أهمية أنّ سيّد يهمّشه بهذه العبارة: «يُراجعَ (التفسير الإسلامي ومقوّماته) الذي لم يُتَحَ له النشر لحدّ الآن، فصل عن التفسير الإسلامي للتاريخ».

وإذا كان هذا الفصل ذو الأهمية الخاصّة في فكر سيّد التاريخي قد ضاع مع الكتاب الأُمّ الذي يضمّه بين جناحيه، فإنّ بمقدورنا لحُسن الحظّ أن نعثر على معطيات سيّد التفسيرية للتاريخ على مساحات واسعة منها بعبارة أدقّ في كتابه الكبير «الظلال» تماماً، كما أنّ بمقدورنا لحُسنْ الحظّ كذلك أن نعثر في «الظلال» نفسه على مساحات واسعة من كتابه الضائع المهمّ الآخر «في ظلال السيرة». ونحن نستطيع أن نؤكّد هذا بالنظر لما يتضمّنه ←

→ «الظلال» من مادّة غنيّة في حقلي التفسير والسيرة. وبالقياس كذلك على مساحات الأخذ والعطاء الواسعة بين «الظلال» وبين كتاب قيّم آخر أُتيح له أن يرى النور، وأن يلعب دوره كذلك في الختم على مصير سيّد بما يضعه في صفّ الشهداء إن شاء الله، وهو كتاب «معالم على الطريق».

وثمّة ما يتحتّم أن يُشار إليه هنا، وهو أنّ سيّد في القسم الأوّل المنشور من كتابه «خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته» والذي يبلور فيه الخصائص الأساسية للتصوّر الإسلامي، إنّما يريد في الوقت نفسه الرؤية الإسلامية لتفسير التاريخ، ويضع الكثير من أُسسها النظرية، قبل أن يدلف في القسم الثاني غير المنشور إلى الموضوع، فيمسّه عن قريب.

مهما يكن من أمر، فإنّنا نجد في النصّ السابق تأكيداً على إحدى المقولات الأساسية في التفسير الإسلامي للتاريخ، ترتبط بمنهج التفسير وتكتسب أهميتها من هذا الارتباط، تلك هي أنّ القرآن الكريم يطرح لأوّل مرّة في حقل الفكر التاريخي عبر مسيرته الطويلة مسألة الارتباط المحتوم بين المقدّمات والنتائج في مجرى الوقائع التاريخية، وأنّ حركة التاريخ لا تمضي عبثاً وعلى غير هدى، وإنّما تحكمها سُنن ونواميس وقوانين ترتّب المصائر على اجتماع حشد من الوقائع والأحداث، وتجعل من توجّه الفعل التاريخي بهذا الاتّجاه أو ذاك أمراً محتوماً.

ليس ثمّة عشوائية في مجرى التحقّق التاريخي، إنّما هنالك النهايات التي تترتّب بالحقّ والقسطاس على بداياتها القريبة والبعيدة، ويكون الجزاء دائماً من جنس العمل، فلا تطيش السهام، ولا يغدو التاريخ مسرحاً عبثياً يقوم اللّامعقول بدور البطولة فيه.

إنّ أحداً من روّاد الفكر التاريخي لم يقل بهذا من قبل كتاب الله المُعجِز، على كثرة ما كُتِبَ من دراسات تاريخية وما دُبِّج من أبحاث ومطوّلات، وإنّ أحداً من روّاد الفكر التاريخي لم يقل بهذا بعد مرور عدّة قرون على تأكيدات القرآن. ولقد جاء ابن خلدون لكي يقول هذا في «مقدّمته»، ولكن متى؟ بعدما يقرب من ثمانية قرون، وهو لشدّة دهشته لاكتشاف ناموسيّة الحركة التاريخيّة من بين رفاق البحث التاريخي عبر القرون، لم يُشِر إلى أنّ القرآن الكريم هو الذي فتح الطريق وأشار في حشود آياته البيّنات إلى هذه الحقيقة الخطيرة في تحليل الصيرورة التاريخية.

←

← وقرون أُخَر كان عليها أن تمضي قبل أن يأتي مَن يواصل الطريق الذي اعتقد ابن خلدون خطأً أنّه شقّه لأوّل مرّة.

إنّ هذه الرؤية المنهجية البكر في فهم التاريخ والتعامل معه لهي واحدة من عجائب القرآن التي لا تنقضي، وإنّ القول بها أو الكشف عنها أو التأكيد عليها في بيئة فكرية لم تكن قد بلغت النضج الذي يؤهّلها لإفراز مقولات كهذه كما يتوهّم الماديّون ليدلّ بوضوح على الصيغة الفوقية التي تَسِم كتاب الله، وعلى الانفصال المحتوم ـ إذا صحّ التعبير ـ بين معطيات الله الشاملة وبين أفكار الناس الجزئية القاصرة المحدودة.. «والذين يأخذهم الدهش والعجب ـ يقول سيّد ـ للنقلة الهائلة التي انتقل إليها العرب في خلال ربع قرن من الزمان على عهد الرسالة المحمّدية، وهي فترة لا تكفي إطلاقاً لحدوث تطوّر فُجائي في الأوضاع الاقتصادية، سيرتفع عنهم الدهش ويزول العجب لو أنّهم حوّلوا انتباههم من البحث في العوامل الاقتصادية، ليبحثوا عن السرّ في هذا المنهج الرّباني الجديد الذي جاءهم به محمّد ﷺ من عند الله العليم الخبير. ففي هذا المنهج تكمن المعجزة، وفيه يكمن السرّ الذي يبحثون عنه طويلاً عند الإله الزائف الذي أقامته المادّية حديثاً، إله الاقتصاد، وإلّا فأين هو التحوّل الاقتصادي المفاجئ في الجزيرة العربية الذي ينشأ من التصوّرات الاعتقادية، ونظام الحكم، ومناهج الفكر، وقيم الأخلاق، وآماد المعرفة، وأوضاع المجتمع، كلّ هذا الذي نشأ في ربع قرن من الزمان؟».

في ختام تفسير سيّد لهذه الآية ذات الدلالة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِن قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام ٦: ٦] ، ينفذ سيّد الرؤية الإسلامية لتفسير التاريخ، سيّما وأنّ منطوق هذه الآية يتّفق مع حشود من الآيات والمقاطع القرآنية عبر كتاب الله من أقصاه إلى أقصاه. فهو من ثَمّ مؤكّد، يملك ثقله الكبير ودلالته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها: «إنّ هذا النصّ في القرآن ﴿فَأَهْلَكنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وما يماثله، وهو يتكرّر كثيراً في القرآن كريم، إنّما يقرّر حقيقة أنّ الذنوب تهلك أصحابها، وأنّ الله هو الذي يهلك المذنبين بذنوبهم، وأنّ هذه سُنّة ماضية ـ ولو لم يَرَها فرد في عمره القصير أو جيل في أجله المحدود ـ ولكنّها سُنّة تصير إليها الأُمم حين ←

→ تفشو فيها الذنوب، وحين تقوم حياتها على الذنوب. كذلك هي جانب من التفسير الإسلامي للتاريخ، فإنّ إهلاك الأجيال واستخلاف الأجيال من عوامله فعل الذنوب في أجسام الأُمم وتأثيرها في إنشاء حالة تنتهي إلى الدمار إمّا بقارعة من الله عاجلة، كما كان يحدث في التاريخ القديم، وإمّا بالانحلال البطيء الفطري الذي يسري في كيان الأُمم مع الزمن وهي توغل في متاهة الذنوب.

وأمامنا في التاريخ القريب نسبياً الشواهد الكافية على فِعْل الانحلال الأُخلاقي والدعارة الفاشية، واتّخاذ المرأة فتنة وزينة، والترف والرخاوة والتلّهي بالنعيم. أمامنا الشواهد الكافية في فعل هذا كلّه في انهيار الإغريق والرومان ـ وقد أصبحوا أحاديث ـ وفي الانهيار الذي تتجلّى أوائله وتلوح نهايته في الأُفق في أُمم معاصرة كفرنسا وإنجلترا كذلك، على الرغم من القوّة الظاهرة والثراء العريض.

إنّ التفسير المادّي للتاريخ يحذف هذا الجانب حذفاً باتّاً من تفسيره لأطوار الأُمم وأحداث التاريخ، ذلك أنّ وجهته ابتداءً هي استعباد العنصر الأُخلاقي من الحياة واستبعاد القاعدة الاعتقادية التي يقوم عليها، ولكن هذا التفسير يضطر إلى مُماحكات مُضحِكة في تفسير أحداث وأطوار في حياة البشرية لا سبيل إلى تفسيرها إلّا على أساس القاعدة الاعتقادية.

والتفسير الإسلامي بشموله وجدّيّته وصدقه وواقعيته لا يغفل أثر العناصر المادّية التي يجعلها التفسير المادّي هي كلّ شيء، ولكنّه يعطيها مكانها الذي تستحقّه في رقعة الحياة العريضة، ويبرز العناصر الفعّالة الأُخرى التي لا يُنكِرها إلّا أصحاب العناد الصفيق لواقعيات الوجود.. يبرز قدر الله من وراء كلّ شيء، ويبرز التغّير الداخلي في الضمائر والمشاعر والعقائد والتصوّرات، ويبرز السلوك الواقعي والعنصر الأُخلاقي، ولا يغفل عاملاً واحداً من العوامل التي تجري بها سُنّة الله في الحياة».

إنّ سيّد يؤكّد في هذا العرض جملة أُمور عن التفسير الإسلامي للتاريخ، وهو يقوم بتنفيذ هذا (التفسير) في تعامله مع الآية المذكورة: ناموسية الحركة التاريخية، المساحة الكبيرة التي تحتلها القِيم الخلقية في الصيرورة التاريخية، انكماش التفسير المادّي للتاريخ برفضه هذه القِيم والقاعدة الاعتقادية التي تقوم عليها هذه القِيم، واضطراره أحياناً إلى اعتماد «المُماحكات المُضحِكة» في تفسير أحداث وأطوار في تاريخ البشرية لا سبيل إلى

←

← تفسيرها إلّا على أساس القاعدة الاعتقادية، شمولية التفسير الإسلامي بالتالي وجدّيّته وصدقه وواقعيته. فهناك اعتراف بالعناصر المادّية ضمن المساحة التي تشغلها فعلاً في صياغة الواقعة التاريخية، وهناك أيضاً سائر العناصر الفعّالة الأُخرى التي ليس إنكارها من العلم في شيء: قَدَرُ الله، التغيّر الداخلي في الضمائر والمشاعر والعقائد والتصوّرات، السلوك الواقعي، والعنصر الأخلاقي، إنّها جميعاً تصنع التاريخ، وبدون اعتمادها جميعاً لا يمكن تفسير التاريخ، تلك هي شمولية الرؤية الإسلامية وجدّيّتها وصدقها وواقعيتها.
إنّ سيّد ما إن تتهيّأ له الفرصة لتقديم عرض نقدي مقارن بين تفسير الإسلام وتفاسير الوضّاعين وبخاصّة طبقة المادّيين منهم، إلّا انتهزها لكي يبيّن المدى الواسع في القدرة على الاستشراف بالنسبة للموقف الإسلامي، والحفر الضيّقة التي تختنق فيها الرؤىٰ والتفاسير الوضعية.
وعبر «الظلال» ذي الثلاثين جزءاً نستطيع أن نضع أيدينا على مساحات واسعة ممّا يمسّ التفسير الإسلامي للتاريخ من قريب أو بعيد بشكل مباشر أو غير مباشر، فما ثَمّ من مسألة لها علاقة بالموضوع إلّا ونجد سيّد يقول كلمته فيها من خلال تفسيره لهذا المقطع أو ذاك، ولهذه الآية أو تلك، ومن خلال المقدّمات التحليلية الخصبة لسور القرآن، وبخاصّة تلك التي تحدّثت عن وقائع تاريخية ممّا شهده عصر الرسالة.
إنّ سيّد يحدّثنا عن القدر والحرّية، عن البُعد الغيبي، عن دور الإنسان في صياغة الحَدث التاريخي، عن تركيب الإنسان ومزاياه ومثالبه، عن الفردية والجماعية، عن تهيئة العالم لاستقبال الإنسان، عن خلق آدم وشروط الخلق والغاية النهائية منه، عن استخلاف الإنسان في الأرض، وطبيعة الدور الذي يتحتّم أن ينفّذه فيها، عن تسخير العالم والطبيعة والأشياء لمهمّة الإنسان، عن الصراع الذي يلفّ الجزئيات والذرّات والمخلوقات والأجرام فيحرّكها ويدفع بها إلى الأمام، عن الشروط التي تمكّن التجربة التاريخية من الديمومة والتواصل، ونقائضها التي تقودها إلى التفكّك والتقطّع والانهيار، عن التغيير الذاتي الذي هو مفتاح الحركة التاريخية، والذي يتحقّق بالصيغ التي تختلف كلّيّة عن صيغ التفاسير الوضعية وعلى رأسها المادّية التاريخية، وغير هذه الخطوط العريضة مسائل (فرعية) أُخرى كثيرة يفرشها سيّد في «الظلال» لكي ترفد التصوّر الشامل للتفسير الإسلامي للتاريخ.

←

← يمكن القول بشكل عامّ: إنّ نقاط الارتكاز التي يمكن وضع اليد عليها بحثاً عن النسيج التفسيري التاريخي في «الظلال» هي تلك السور التي تنزّلت مساحات واسعة منها لكي تتحدّث عن هذه المعركة أو تلك من معارك عصر الرسالة، فتغطّي جانباً من مُجرياتها، وتلامس أحداثها، وتعلّق على وقائعها؛ لكي تمنح الجماعة الإسلامية خِبرات حيّة مستمدّة من صميم التجربة التي يصنعونها ويعيشونها.

وهذه السور هي وفق التسلسل التاريخي للأحداث التي تعاملت معها: الأنفال (عن معركة بدر)، آل عمران (عن معركة أُحُد)، الحشر (عن معركة بني النضير)، الأحزاب (عن معركة الخندق)، الفتح (عن صلح الحديبية) ، والتوبة (عن معركة تبوك).

طبعاً أنّ هناك قطعاً أُخرى عن أحداث السيرة ووقائعها مُنبثّة في ثنايا القرآن، ولكنّنا نُشير هنا إلى المساحات الأوسع فحسب.

في تفسيره لسورة الأنفال باعتبارها تناولت أوّل معركة حاسمة بين الإيمان والكفر، يقف سيّد طويلاً لطرح وتحليل نظرية الجهاد الإسلامي، فيخصّص لها أربعاً وثلاثين صفحة شكّلت فيما بعد موضوعاً مستقلّاً في كتاب «المعالم»، وقد اقتبس خلالها قطعة واسعة من كتاب أبي الأعلى المودودي «الجهاد في سبيل الله»، كما أنّه اعتمد في البداية على ذلك التلخيص الذي قدّمه الإمام ابن القيّم عن سياق الجهاد في الإسلام في «زاد المعاد».

ويكاد يكون هذا التحليل للجهاد أدقّ تحليل لذلك المبدأ الإسلامي الخطير، وأكثرها نفاذاً، وأشملها رؤيةً، وأقدرها على استكناه الروح الحقيقية التي تسري في نسيج هذه الفاعلية ودمها وعصبها وشرايينها، مستمدّة من الرؤية القرآنية ومعطيات السيرة، بعيداً عن الإسقاطات الخاطئة المضلّلة التي أُلحقت بالجهاد فيما بعد مكراً أو جهلاً.

والجهاد على ذلك واحد من المفاتيح الكبيرة التي (تفسّر) الكثير من وقائع التاريخ، وتُلقي الضوء على مُعطياته وهي تنمو وتتطوّر، أو تنكمش وتضمحل وتزول.. ليس تاريخ الرسالة وحدها، ولا تاريخ عصر الراشدين وحده، ولكنّه كلّ تاريخ تكون فيه مواجهة بين الإسلام والخصوم.

ولن يتّسع المجال هنا بطبيعة الحال لاستعراض أو حتّى لتلخيص هذا المنظور المتماسك لمفهوم الجهاد، ويكفي أن نُحيل القارئَ إليه.

←

← يمضي سيّد ـ بعد ذلك ـ لكي يستعرض وقائع معركة بدر ومُلابساتها من أجل تهيئة الأرضية التي سيُقيم عليها تفسيره للمُعطيات القرآنية عن هذا الحدث الحاسم (وسنرجع إلى ذلك مرّة أخرى لدى الحديث عن مُعطيات سيّد كباحث في التاريخ الإسلامي). ثمّ يختم استعراضه ذلك بقوله: «في هذه الغزوة التي أجملنا عرضها بقدر المستطاع نزلت سورة الأنفال، نزلت تعرض وقائع الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبّرة، وتكشف عن قدر الله وتدبيره في وقائع الغزوة وفيما وراءها من خطّ سير التاريخ البشري كلّه».

وكعادته عبر منهجه التفسيري ذي الرؤية الشمولية يقدّم الرجل عرضاً للخطوط الرئيسة للسورة، ثمّ يختتم العرض بقوله: «لقد كانت هذه الغزوة هي أوّل وقعة كبيرة لقي فيها المسلمون أعداءهم من المشركين، فهزموهم تلك الهزيمة الكبيرة. ولكن المسلمين لم يكونوا قد خرجوا لهذه الغاية، لقد كانوا إنّما خرجوا ليأخذوا الطريق على قافلة قريش الذين أخرجوا المهاجرين من ديارهم وأموالهم، فأراد الله للعصبة المسلمة غير ما أرادت لنفسها من الغنيمة، أراد لها أن تنفلت منها القافلة، وأن تلقى عدوّها من عتاة قريش الذين جمّدوا الدعوة في مكّة ومكروا مكرهم لقتل رسول الله ﷺ بعدما بلغوا بأصحابه الذين تابعوه على الهدى غاية التعذيب والتنكيل والأذىٰ.. لقد أراد الله سبحانه أن تكون هذه الوقعة فرقاناً بين الحقّ والباطل، وفرقاناً في خطّ سير التاريخ الإسلامي، ومن ثَمّ فرقاناً في خطّ سير التاريخ الإنساني. وأراد أن يظهر فيها الآماد البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الخير لهم، وتدبير ربّ البشر لهم ولو كرهوه في أوّل الأمر. كما أراد أن تتعلّم العصبة المؤمنة عوامل النصر وعوامل الهزيمة، وتتلقّاها مباشرة من يد ربّها ووليّها وهي في ميدان المعركة وأمام مشاهدها..

وتضمّنت السورة التوجيهات المُوحِيَة إلى هذه المعاني الكبيرة مصوغة في أُسلوب التوجيه المربّي الذي ينشِئ التصوير الاعتقادي، ويجعله هو المحرّك الأوّل والأكبر في النشاط الإنساني، وهذه هي سِمَة المنهج القرآني في عرض الأحداث وتوجيهها».. واستطرد السياق أحياناً إلى صور من حياة الرسول ﷺ وحياة أصحابه في مكّة، وهم قلّة مُستَضعَفون في الأرض، يخافون أن يتخطّفهم الناس.. ذلك ليذكروا فضل الله عليهم في ساعة النصر، ويعلموا أنّهم إنّما يُنصَرون بنصر الله وبهذا الدين الذي آثروه على المال والحياة.. واستطرد إلى صور

←

← من حياة المشركين قبل هجرة رسول الله ﷺ وبعدها، وإلى أمثلة من مصائر الكافرين من قبل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم لتقرير سُنّة الله التي لا تتخلّف في الانتصار لأوليائه والتدمير على أعدائه.

فهاهنا نضع أيدينا على بعض الخيوط التي تُسهِم في تسييج التفسير الإسلامي للتاريخ: رؤية الله سبحانه ورؤية الإنسان، فعل الله سبحانه في التاريخ وفعل الإنسان، عوامل النصر وعوامل الهزيمة، العقيدة كمحرّك للواقعة التاريخية، مصائر المؤمنين ومصائر الكافرين في العالم، القوى المنظورة والقوى الغيبية في صياغة التاريخ، السنّة الإلهية التي لا تتغيّر ولا تتبدّل كلّما اجتمعت الأسباب.

فمن خلال هذه المعركة الفاصلة التي لم تتعدّ الساعات أراد القرآن الكريم أن يعلّم الجماعة المؤمنة الكثير من مبادئ الحركة التاريخية وقوانينها؛ لكي يعرفوا كيف يسوقونها بإرادة الله صوب الهدف المُرتجىٰ، ولكي يكونوا أكثر قدرة على تغيير خرائط العالم وإعادة صياغته من جديد كيلا تكون فتنة ويكون الدين لله.

وشتّان بين جماعة تعرف مبادئ وقوانين الحركة التاريخية، وتتوافق معها، وتبني عليها، وتختزل الوقت والطاقة وصولاً إلى الهدف، وبين جماعة أُخرى تجهل هذه المبادئ فترتطم بها، ولا تستفيد من عطائها، فتطيل على نفسها الطريق، وتستنفد من طاقاتها ووقتها شيئاً أكبر بكثير من الحجم المطلوب، وقد لا تصل إلى هدفها أبداً.

إنّ الماركسيّين يصرّون خطأً واستكباراً على أنّهم هم الذين اكتشفوا قوانين الحركة التاريخية، فسعوا إلى استغلالها لحسابهم من أجل التعجيل والتشريع لتحقيق أهدافهم. لكنّنا نجد هنا ما يضرب هذه المقولة الخاطئة، ويبيّن للناس كيف أراد القرآن الكريم أن يمنحهم وعياً أعمق بهذه القوانين؛ ليمكّنهم من تنفيذ برامجهم وتثبيت وجودهم العقيدي في العالم.

إنّ سيّد عبر تفسيره لسورة الأنفال يوقفنا أمام حشد من تلك القوانين:

١ ـ الأسباب وحدها لا تُنشِئ النتائج، إنّما هنالك ما يفوقها فاعلية، بل ما يحيط بها ويمنحها القدرة على العمل، إنّه قَدَر الله.

والاتّكال على الله والتسليم بقَدَره لا يمنع مطلقاً اتّخاذ الأسباب، فإنّهما متكاملان متناغمان متواصلان، وليسا ـ كما يتصوّر البعض ـ متعارضين متقاطعين ومتضادّين.

←

← والقوانين الطبيعية لا تملك حتميتها المستقلّة المنظورة فيما ينفي قَدَر الله وغيبه، فإنّ التحليل العلمي نفسه يقود إلى تأكيد هذا الغيب في صميم الطبيعة وفي تركيب قوانينها العاملة. وإنّ تجاوز الاستسلام للأسباب الظاهرة هو الفعل التاريخي والعقيدي الوحيد الذي يحرّر الإنسان ويمكّنه في الوقت نفسه من صياغة وجوده ومصيره بما يشبه القفزات، إنّه ليس ثمّة (عبودية) أبداً لغير الله، لا للأسباب الحتمية، ولا لإرادة الطبيعة ، ولا لغيرها من المسمّيات.

وذلك هو ملمح أساسي أصيل يفرّق بين التفسير الإسلامي للتاريخ وبين غيره من تفاسير الكَهَنَة والوضّاعين. ولنتابع بعض التفاصيل ممّا يريد سيّد أن يقوله: «ليس الاتّكال على الله وحده بمانع من اتّخاد الأسباب. فالمؤمن يتّخذ الأسباب من باب الايمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتّخاذها، ولكنّه لا يجعل الأسباب هي التي تنشِئ النتائج فيتّكل عليها. إنّ الذي ينشِئ النتائج ـ كما ينشِئ الأسباب ـ هو قدر الله، ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن. اتّخاذ السبب عبادة بالطاعة وتحقّق النتيجة قدر من الله مستقلّ عن السبب لا يقدر عليه إلّا الله. وبذلك يتحرّر شعور المؤمن من التعبّد للأسباب والتعلّق بها، وفي الوقت ذاته هو يستوفيها بقدر طاقته لينال ثواب طاعة الله على استيفائها.

ولقد ظلّت الجاهلية (العلمية!) الحديثة تلحّ فيما تسمّيه (حتمية القوانين الطبيعية)، ذلك لتنفي (قدر الله) وتنفي (غيب الله)، حتّى وقفت في النهاية عن طريق وسائلها وتجاربها ذاتها أمام غيب الله وقدر الله وقفة العاجز عن التنبّؤ الحتمي، ولجأت إلى (نظرية الاحتمالات) في عالم المادّة. فكلّ ما كان حتمياً صار احتمالياً، وبقي الغيب سرّاً مكتوماً، وبقي قدر الله هو الحقيقة الوحيدة المستيقنة، وبقي قول الله سبحانه:﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، هو القانون الحتمي الوحيد الذي يتحدّث بصدق عن طاقة المشيئة الإلهية من وراء القوانين الكونية التي يدبّر الله بها هذا الكون بقدرة النافذ الطليق.

هذه هي النقلة الضخمة التي ينقلها الاعتقاد الإسلامي للقلب البشري وللعقل البشري أيضاً، النقلة التي تخبّطت الجاهلية الحديثة ثلاثة قرون لتصل إلى أُولى مراحلها من الناحية العقلية، ولم تصل إلى شيء منها في الناحية الشعورية، وما يترتّب عليها من نتائج عملية خطيرة في التعامل مع قدر الله والتعامل مع الأسباب والقوى الظاهرية. إنّها نقلة التحرّر ←

← العقلي، والتحرّر الشعوري، والتحرّر السياسي، والتحرّر الاجتماعي، والتحرّر الأخلاقي، إلى آخر أشكال التحرّر وأوضاعه. وما يمكن أن يتحرّر (الإنسان) أصلاً إذا بقي عبداً للأسباب (الحتمية) وما وراءها من عبوديته لإرادة الناس أو عبوديته لإرادة (الطبيعة)، فكلّ (حتمية) غير إرادة الله وقدره هي قاعدة العبودية لغير الله وقدره. والتصوّر الاعتقادي في الإسلام كلّ متكامل، ثمّ هو بدوره كلّ متكامل مع الصورة الواقعية التي يريدها هذا الدين لحياة الناس.

٢ ـ إنّ النتائج التاريخية لا تأتي بالتمنّي، ولكن بالجهد والجهاد وبالمعاناة في عالم الواقع وفي ميدان القتال. وإنّ النصر ليس بالعدد ولا بالعُدّة وحدهما، ولكنّه بمقدار الاتّصال بالله والاستمداد من قوّته. وإنّه ليس كلّ ما يريده الناس خيراً لأنفسهم، فهناك من وراء رؤية الإنسان المحدودة رؤية شاملة مطلقة قد تختار لهم ما لا يشتهون، ولكنّها تسوقهم إلى المصائر التي يتمنّون: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كثيراً﴾ [سورة النساء ٤: ١٩].

لقد أراد الله لمعركة بدر أن تكون مَلحَمَة لا غنيمة كما تمنّىٰ المسلمون قبل وقوعها، وأن تكون موقعة بين الحقّ والباطل؛ ليحقّ الحقّ ويثبته، ويُبطل الباطل ويزهقه، وأراد أن يقطع دابِرَ الكافرين، ويمكّن للعصبة المسلمة التي تعيش بمنهج الله، وتنطلق به لتقرير أُلوهية الله في الأرض وتحطيم طاغوت الطواغيت، وأراد أن يكون هذا التمكين عن استحقاق لا عن جُزاف، وبالجهد والجهاد، وبتكاليف الجهاد ومُعاناته في عالم الواقع وفي ميدان القتال.

نعم، لقد أراد الله للعصبة المسلمة أن تصبح أُمّة، وأن تصبح دولة، وأن يصبح لها قوّة وسلطان. وأراد لها أن تقيس قوّتها الحقيقية إلى قوّة أعدائها، فترجح ببعض قوّتها على قوّة أعدائها! وأن تعلم أنّ النصر ليس بالعدد، وليس بالعُدّة، وليس بالمال والخيل والزاد، إنّما هو بمقدار اتّصال القلوب بقوّة الله التي لا تقف لها قوّة العباد، وأن يكون هذا كلّه عن تجربة واقعية، لا عن مجرّد تصوّر واعتقاد قلبي.

فأين ما أرادته العصبة المسلمة لنفسها ممّا أراده الله لها؟! لقد كانت تمضي ـ لو كانت لهم قافلة أبي سفيان ـ قصّة غنيمة وقصّة قوم أغاروا على قافلة فغنموها. فأمّا بدر فقد مضت في التاريخ كلّه قصّة عقيدة، قصّة نصر حاسم وفُرقان بين الحقّ والباطل، قصّة انتصار الحقّ على

←

← أعدائه المدجّجين بالسلاح المزوّدين بكلّ زاد، والحقّ في قلّة من العدد وضعف في الزاد والراحلة، قصّة انتصار القلوب حين تتّصل بالله وحين تتخلّص من ضعفها الذاتي، بل قصّة انتصار حفنة من القلوب حين تتّصل من بينها الكارهون للقتال! ولكنّها ببقيتها الثابتة المستعلية على الواقع المادّي وبيقينها في حقيقة القوىٰ وصحّة موازينها، قلبت ميزان الظاهر، فإذا الحقّ راجح غالب..».

٣ ـ إنّ الإنسان المؤمن ليس وحده في الساحة، فهنالك قوىٰ أُخرىٰ قد تكون منظورةً حيناً، غير مرئية حيناً آخر، تبعث بها إرادة الله سبحانه؛ لكي تُعين الجماعة المؤمنة على تحقيق النصر والاقتراب من الأهداف. وإنّ مقولة فاعلية وسائل الإنتاج والقدرات اللامحدودة للقوى الماديّة ليست سوى خرافة تنبثق عن رؤية نسبية محدودة قاصِرة لما يجري في ساحة الكون والعالم والحياة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثّر ٧٤: ٣١].

«إنّ المعركة كلّها تُدار بأمر الله ومشيئته وتدبيره وقدره، وتسير بجند الله وتوجيهه.. إنّ الله لم يترك العصبة المسلمة وحدها في ذلك اليوم، وهي قلّة والأعداء كثرة، وإنّ أمر هذه العصبة وأمر هذا الدين قد شارك فيه الملأ الأعلىٰ مشاركة فعلية على النحو الذي يصفه الله سبحانه في كلماته. لقد استجاب لهم ربّهم وهم يستغيثون، وأنبأهم أنّه مُمِدّهم بألف من الملائكة مُردفين.. لقد كان حسب المسلمين أن يبذلوا ما في طوقهم فلا يستبقوا منه بقية، وأن يُغالبوا الهزّة الأُولى التي أصابت بعضهم في مواجهة الخطر الواقعي، وأن يمضوا في طاعة أمر الله واثقين بنصر الله. كان حسبهم هذا لينتهي دورهم ويجيء دور القُدرة التي تصرفهم وتدبّرهم.. وإنّه لحسب العصبة المؤمنة أن تشعر أنّ جند الله معها لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة، ثمّ يجيء النصر من عند الله وحده..».

٤ ـ إنّه ليس من قبيل الصدف والفلتات أن ينصر الله العصبة المؤمنة، وأن يسلّط على أعدائها الرعب وينتهي بها إلى الهزيمة، فتلك هي سُنّة الحياة، وذلك هو واحد من أشدّ قوانين التاريخ ديمومةً وثباتاً. وإنّه بمجرّد أن نستعرض مسيرة الصراع بين الأنبياء عليهم السلام وأصحابهم وبين خصومهم ومُعارِضِيهم، تتبيّن لنا ناموسيّة الحركة التاريخية التي تؤول إلى انتصار الإيمان على الكفر.

«إنّها ليست فلتة عارضة ولا مصادفة عابرة أن ينصر الله العصبة المسلمة، وأن يسلّط على

←

← أعدائها الرعب والملائكة مع العصبة المؤمنة، إنّما ذلك لأنّهم شاقّوا الله ورسوله، فاتّخذوا لهم شقّاً غير شقّ الله ورسوله وصفّاً غير صفّ الله ورسوله، ووقفوا موقف الخلف والمشاقّة يصدّون عن سبيل الله ويحولون دون منهج الله للحياة.

قاعدة وسُنّة، لا فلتة ولا مُصادفة، قاعدة وسُنّة أنّه حيثما انطلقت العصبة المسلمة في الأرض لتقرير أُلوهية الله وحده، وإقامة منهج الله وحده، ثمّ وقف منها عدوّ لها موقف المشــاقّة لله ورسوله، كان التثبيت والنصر للعصبة المسلمة، وكان الرعب والهزيمة للّذين يشــاقّون الله ورسوله، ما استقامت العصبة المسلمة على الطريق، واطمأنت إلى ربّها وتوكّلت عليه وحده وهي تقطع الطريق.. إنّ الله سبحانه لا يَكِل الناس إلى فلتات عابرة، ولا إلى جُزاف لا ضابط له، إنّما هي سُنّته يمضي بها قدره. وما أصاب المشركين في يوم بدر هو ما يصيب المشركين في كلّ وقت، وقد أصاب آل فرعون والذين من قبلهم..».

٥ ـ والإنسان في التصوّر الإسلامي للتاريخ عنصر إيجابي في صياغة المصير، وهو يملك في أيّة لحظة القدرة على التغيير، فهو ـ من ثَمّ ـ ليس مجرّد أداة لِما تسمّيه المذاهب الوضعية (التحميات التاريخية) تفعل به ما تشاء. إنّ الإنسان أقدر وأكرم من هذا بكثير.. وفي تفسيره للآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الأنفال ٨: ٥٣] ، يقول سيّد: «إنّه من جانب يقرّر عدل الله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إيّاها إلّا بعد أن يغيّروا نواياهم، ويُبدّلوا سلوكهم، ويقلّبوا أوضاعهم، ويستحقّوا أن يغيّر ما بهم ممّا أعطاهم إيّاه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدّروها ولم يشكروها. وفي الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري على طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنّياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم. ومن الجانب الثالث يُلقي تَبِعَة عظيمة تقابل التكريم العظيم على هذا الكائن. فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه، ويملك أن يُزاد عليها إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يُزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبَطِر وانحرفت نواياه فانحرفت خُطاه.

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثّل جانباً من جوانب (التصوّر الإسلامي لحقيقة الإنسان) وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود، وعلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه. ومن هذا الجانب يتبيّن

←

← تقدير هذا الكائن في ميزان الله وتكريمه بهذا التقدير، كما تتبيّن فاعلية الإنسان في مصير نفسه وفي مصير الأحداث من حوله، فيبدو عنصراً إيجابياً في صياغة هذا المصير بإذن الله وقدره الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيّته وسلوكه، وتنتفي عنه تلك السلبية الذليلة التي تفرضها عليه المذاهب المادّية التي تصوّره عنصراً سلبياً إزاء الحتميات الجبّارة: حتمية الاقتصاد، وحتمية التاريخ، وحتمية التطوّر.. إلى آخر الحتميّات التي ليس للكائن الإنساني إزاءها حول ولا قوّة، ولا يملك إلّا الخضوع المطلق لما تفرضه عليه وهو ضائع خانع مذلول. كذلك تصوّر هذه الحقيقة ذلك التلازم بين العمل والجزاء في حياة هذا الكائن ونشاطه، وتصوّر عدل الله المطلق في جعل هذا التلازم سُنّة من سُنَنه يجري بها قدره ولا يظلم فيها عبد من عبيده..».

٦ ـ في التفاسير الوضعية للتاريخ كان الشعار في معظم الأحيان هو (الغاية تبرّر الواسطة)، وكان بمقدور البطل في التفسير المثالي لهيغل أن يفعل ما يشاء، وأن يتجاوز القِيَم الخلقية ويسحق الزهرات البيضاء؛ لأنه لا يفعل بأكثر من الاستجابة لنداء العقل الكلّي من أجل التقدّم. وما كانت النازيّة والفاشيّة في نهاية الأمر إلّا ثمرة مُرّة لهذا التصوّر المخطوء، ولقد وجدتا في فلسفة هيغل الكثير من المبرّرات والحِجَج والأسانيد. وكان بمقدور (الطبقة) في التفسير المادّي لماركس وأنغلز أن تفعل ما تشاء وأن تقتل وتستعبد وتسفك الدماء وتسعى في الأرض فساداً؛ لأنها لا تفعل بأكثر من الاستجابة لمنطق التبدّل في وسائل الإنتاج وظروفه، وما كانت الشيوعية في نهاية الأمر إلّا ثمرة مُرّة لهذا التصوّر المخطوء، ولقد وجدت في فلسفة ماركس وأنغلز ونبوءاتهما وحتمياتهما الكثير من الحِجَج لتنفيذ أبشع الصيغ للمبدأ الماكيافلّي الغربي المعروف: (الغاية تبرّر الواسطة).

في التصوّر الإسلامي نقف إزاء هذا النداء: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة الأنفال ٨: ٨].

«إنّ الإسلام يعاهد ليصون عهده، فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جَهرةً وعلانيةً، ولم يخن ولم يغدر، ولم يغشّ ولم يخدع، وصارح الآخرين بأنّه نفض يده من عهدهم، فليس بينه وبينهم أمان. وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة والأمن والطمأنينة.. إنّه يريد للبشرية أن تعفّ، فلا يبيح الغدر في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى ←

← الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة.. إنّ النفس الإنسانية وِحدة لا تتجزّأ، ومتى استحلّت لنفسها وسيلة خسيسة فلا يمكن أن تظلّ محافظة على غاية شريفة. وليس مسلماً مَن يبرّر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحسّ الإسلامي ؛ لأنّه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات..».

٧ ـ والقوّة المادّية ليست الحكم الأوّل والأخير في مصير أيّ صراع، سواء بحسابات الكمّ أم النوع، فإن هنالك في التفسير الإسلامي للتاريخ قوّة تفوقها وتسوقها في الوقت نفسه، إنّها قوّة الإيمان، توهّج الروح واستنارة الفكر ويقين الفؤاد. إنّ المنظور الإسلامي يكسر المعادلات التقليدية لتكافؤ القوىٰ، ويصنع معادلة من نوع جديد.. معادلة مركّبة من عدّة درجات، لن يستطيع إدراكها والتعامل بمنطوقها إلّا الذين يصنعونها وينفّذونها.. لقد كان الفاتحون الروّاد بعض أُولئك الذين تيقّنتها نفوسهم، كانوا في معظم الأحيان الأقلّ عدداً، ولكنّهم كانوا في معظم الأحيان يخرجون منتصرين. وبدون إدراك هذا البُعد في ميدان الصراع لن يكون بمقدورنا أن نفسّر واحدة من أشدّ الظواهر التاريخية تأثيراً وتألّقاً واتّساعاً: (الفتح الإسلامي).

بينما في التفاسير الوضعية يبدو الرقم البسيط المجرّد هو الحَكَم الفصل في المصير؛ ولهذا كثيراً ما تعجز عن تفسير ظواهر تاريخية كهذه، فتلفّق لها الأسباب: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَفْقَهُونَ * ٱلآنَ خَفَّفَ ٱللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِنكُم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَينِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال ٨: ٦٥ ـ ٦٦] .

«ويقف الفكر ليستعرض القوّة التي لا رادّ لها ولا معقّب عليها، قوّة الله القوي العزيز، وأمامها تلك القوّة الضئيلة العاجزة الهزيلة التي تتصدّى لكتائب الله، فإذا الفرق شاسع والبَوْن بعيد، وإذا هي معركة مضمونة العاقبة مقرّرة المصير.

فأمّا تعليل هذا التفاوت فهو: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، فما صلة الفقه بالغلب في ظاهر الأمر؟إنّها صلة حقيقية قوية. إنّ الفئة المؤمنة إنّما تمتاز بأنّها تعرف طريقها، وتفقه منهجها، ←

← وتدرك حقيقة وجودها وغايتها. إنّها تفقه حقيقة الأُلوهية وحقيقة العبودية، فتفقه أنّ الأُلوهية لابدّ أن تتفرّد وتستعلي، وأنّ العبودية يجب أن تكون لله وحده بلا شريك، وتفقه أنّها هي الأُمّة المسلمة المهتدية بهدي الله المنطلقة في الأرض بإذن الله لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وأنّها هي المستخلفة عن الله في الأرض المُمَكَّنة فيها، لا لتستعلي هي وتستمتع، ولكن لتُعلي كلمة الله، وتجاهد في سبيله، ولتعمّر الأرض بالحقّ، وتحكم بين الناس بالقسط.. وكلّ ذلك فقه يسكب في قلوب العصبة المسلمة النور والثقة والقوّة واليقين، ويدفع بها إلى الجهاد في سبيل الله في قوّة وطمأنينة للعاقبة تضاعف القوّة، بينما أعداؤها: ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، قلوبهم مغلقة، وبصائرهم مطموسة، وقوّتهم كليلة عاجزة مهما تكن متفوّقة ظاهرة.. إنّها قوّة منقطعة معزولة عن الأصل الكبير.

وهذه النسبة، واحد لعشرة، هي الأصل في ميزان القوىٰ بين المؤمنين الذين يفقهون والكافرين الذين لا يفقهون، وحتّى في أضعف حالات المسلمين الصابرين فإنّ هذه النسبة هي واحد لاثنين».

٨ ـ إنّ آصرة التجمّع والقاعدة التي ينطلق منها المجتمع الإسلامي ويقوم عليها هي العقيدة.. ليست علاقات الدم، ولا علاقات الأرض، ولا علاقات الجنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللغة، ولا علاقات الاقتصاد، ولا العلاقات الطبقية، ليست هي القرابة، ولا العِرقية، ولا المصالح الاقتصادية، إنّما هي علاقة العقيدة أوّلاً وأخيراً.

«ولقد كان الإسلام يستهدف من خلال ذلك إبراز (إنسانية الإنسان) وتقويتها وتمكينها وإعلاءها على جميع الجوانب الأُخرى في الكائن الإنساني. . إنّ هذا الكائن يشترك مع الكائنات الحيوانية بل الكائنات المادّية في صفات تُوهِم أصحاب (الجهالة العلمية) مرّة بأنّه حيوان كسائر الحيوان، ومرّة بأنّه مادّة كسائر المواد. ولكن الإنسان ـ مع اشتراكه في هذه (الصفات) مع الحيوان ومع المادّة ـ له (خصائص) تميّزه وتُفرِده وتجعل منه كائناً فريداً، كما اضطرّ أصحاب (الجهالة العلمية) أخيراً أن يعترفوا والحقائق الواقعة تلوي أعناقهم ليّاً، فيضطرّون لهذا الاعتراف في غير إخلاص ولا صراحة.

والإسلام بمنهجه الربّاني يعمد إلى هذه الخصائص التي تميّز (الإنسان) وتفرده بين الخلائق، فيبرزها وينمّيها ويُعلّيها. وهو حين يجعل آصرة العقيدة هي قاعدة التجمّع العضوي الحركي ←

← التي يقيم على أساسها وجود الأُمّة المسلمة، إنّما يمضي على خطّته تلك.. فالعقيدة تتعلّق بأعلى ما في الإنسان من (خصائص).

إنّه لا يجعل هذه الآصرة هي النسب، ولا اللغة، ولا الأرض، ولا الجنس، ولا اللون، ولا المصالح، ولا المصير الأرضي المشترك، فهذه كلّها أواصر يشترك فيها الحيوان مع الإنسان، وهي أشبه شيء بأواصر القطيع. أمّا العقيدة التي تفسّر للإنسان وجوده، ووجود هذا الكون من حوله، ومصيره ومصير الكون من حوله، وتردّه إلى كائن أعلى من هذه المادّة وأكبر وأسبق وأبقىٰ، فهي أمر آخر يتعلّق بروحه وإدراكه المميّز له من سائر الخلائق، والذي يقرّر (إنسانيته) في أعلى مراتبها حيث يخلف وراءه سائر الخلائق.

ثمّ إنّ هذه الآصرة ـ آصرة العقيدة والتصوّر والفكرة والمنهج ـ هي آصرة حرّة، يملك الفرد الإنساني اختيارها بمحض إرادته الواعية. فأمّا أواصر القطيع تلك فهي مفروضة عليه فرضاً، لم يخترها، ولا حيلة له كذلك فيها. إنّه لا يملك تغيير نسبه الذي نمّاه، ولا تغيير الجنس الذي تسلسل منه، ولا تغيير اللون الذي وُلِدَ به. فهذه كلّها أُمور قد تقرّرت في حياته قبل أن يولد، لم يكن له فيها اختيار. كذلك مولده في أرض بعينها، ونطقه بلغة بعينها بحكم هذا المولد، وارتباطه بمصالح مادّية معيّنة ومصير أرضي معيّن، ما دامت هذه هي أواصر تجمعه مع غيره، كلّها مسائل عسيرة التغيير، ومجال (الإرادة الحرّة) فيها محدود. ومن أجل هذا كلّه لا يجعلها الإسلام هي آصرة التجمّع الإنساني. فأمّا العقيدة والتصوّر والفكرة والمنهج فهي مفتوحة دائماً للاختيار الإنساني، ويملك في كلّ لحظة أن يعلن فيها اختياره، وأن يقرّر التجمّع الذي يريد أن ينتمي إليه بكامل حرّيته، فلا يقيّده في هذه الحالة قيد من لونه، أو لغته، أو جنسه، أو نسبه، أو الأرض التي وُلِد فيها، أو المصالح المادّية التي تتحوّل بتحوّل التجمّع الذي يريده ويختاره.. وهنا كرامة الإنسان في التصوّر الإسلامي.

ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات، وأن صبّت في بوتقة المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاءاتها، وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت وأنشأت مركّباً عضوياً فائقاً في فترة تُعَدّ نسبياً قصيرة، وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة تحوي خُلاصة الطاقة البشرية في زمانها ←

← مجتمعة، على بُعْد المسافات وبطء طريق الاتّصال في ذلك الزمان..
لقد اجتمع العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونيسي والأفريقي. . إلى آخر الأقوام والأجناس، اجتمعوا على قدم المساواة وبآصرة الحبّ وبشعور التطلّع إلى وجهة واحدة، فبذلوا جميعاً أقصى كفاءاتهم، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم، وصبّوا خُلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعاً على قدم المساواة، وتجمع فيه بينهم آصرة تتعلّق بربّهم الواحد، وتبرز فيها (إنسانيتهم) وحدها بلا عائق. وهذا ما لم يتجمّع قطّ لأيّ تجمّع آخر مدار التاريخ.
لقد كان أشهر تجمّع بشري في التاريخ القديم هو تجمّع الإمبراطورية الرومانية مثلاً، فقد ضمّت بالفعل أجناساً متعدّدة ولغات وألواناً وأرضين متعدّدة، ولكن هذا كلّه لم يقم على آصرة (إنسانية)، ولم يتمثّل في قيمة عليا كالعقيدة. لقد كان هناك تجمّع طبقي على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد في الإمبراطورية كلّها من ناحية، وتجمّع عنصري على أساس سيادة الجنس الروماني بصفة عامّة وعبودية سائر الأجناس الأُخرى، ومن ثَمّ لم يرتفع قطّ إلى أُفق التجمّع الإسلامي، ولم يؤتِ الثمار التي آتاها التجمّع الإسلامي.
كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمّعات أُخرى، تجمّع الإمبراطورية البريطانية مثلاً، ولكنّه كان كالتجمّع الروماني الذي هو وريثه، تجمّعاً قومياً استغلالياً، يقوم على أساس سيادة القومية الإنجليزية واستغلال المستعمرات التي تضمّها الإمبراطورية، ومثله الإمبراطوريات الأُوربية كلّها: الإمبراطورية الإسبانية والبرتغالية في وقتٍ ما، والإمبراطورية الفرنسية.
وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمّعاً من نوع آخر، يتخطّى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون. ولكنّها لم تقمه على قاعدة (إنسانية) عامّة، إنّما أقامته على القاعدة (الطبقية)، فكان هذا التجمّع هو الوجه الآخر للتجمّع الروماني القديم، هذا تجمّع على قاعدة طبقة (الأشراف)، وذلك تجمّع على قاعدة طبقة (البروليتاريا)، والعاطفة التي تسوده هي عاطفة الحقد الأسود على سائر الطبقات الأُخرى. وما كان لمثل هذا التجمّع أن يُثمِر إلّا أسوأ ما في الكائن الإنساني، فهو ابتداءً قائم على أساس إبراز الصفات الحيوانية وحدها وتمكينها باعتبار أنّ (المطالب الأساسية) للإنسان هي (الطعام والمسكن والجنس)، وباعتبار أنّ تاريخ
←

بعد تأليفه لكتاب «التصوير الفنّي في القرآن» عزم سيّد قطب على تفسير القرآن مع التأكيد على المنحى الجهادي، فذكر في «ظلال القرآن»: أنّ تأليف هذا

← الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام..».

٩ ـ والتفسير الإسلامي للتاريخ على خلاف سائر التفاسير الوضعية يعطي مساحة واسعة للغيب، بل يجعله قاعدة أساسية من القواعد الكبرى للتصوّر الإسلامي، حتّى لقد جعل الإسلام الإيمان بالغيب مقوّماً من مقوّمات الإيمان لا يتمّ إلّا به: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة ٢: ١ ـ ٥].

«إنّ الإيمان بالغيب نقلة في حياة الإنسان ضخمة؛ لأن خروجه من دائرة المحسوس الضيّقة إلى إدراك أنّ هناك غيباً مجهولاً يمكن وجوده ويمكن تصوّره، هو بلا شكّ نقلة من دائرة الحسّ الحيواني إلى مجال الإدراك الإنساني، وإنّ إغلاق هذا المجال دون الإدراك الإنساني نكسة به إلى الوراء، وهو ما تحاوله المذاهب المادّية الحسّية، وتدعوه (تقدّمية)..».

المجال الفسيح الذي يفتحه الإيمان بالغيب أمام وعي الإنسان إنّما هو «فسحة في التصوّر، وفسحة في إدراك حقائق هذا الوجود، وفسحة في الشعور، وفسحة في الحركة النفسية والفكرية يُتيحها التصوّر الإسلامي للمسلم. والذين يريدون أن يغلقوا على (الإنسان) هذا المجال ومجال عالم الغيب كلّه، إنّما يريدون أن يغلقوا عالمه على مدى الحسّ القريب المحدود، ويريدون بذلك أن يزجّوا به في عالم البهائم، وقد كرّمه الله بقوّة التصوّر التي يملك بها أن يدرك ما لا تدركه البهائم، وأن يعيش في بحبوحة من المعرفة وبحبوحة من الشعور، وأن ينطلق بعقله وقلبه إلى مثل هذا العالم.

ماذا عند أدعياء العقلية (العلمية) من علمهم ذاته، يحتّم عليهم نفي (الغيب) وإبعاده عن دائرة التصوّر والتصديق؟ماذا لديهم من علم يوجِب عليهم ذلك؟إنّ علمهم لا يملك أن ينفي وجود حياة من نوع آخر غير الحياة المعروفة في الأرض في أجرام أُخرىٰ يختلف تركيب جوّها وتختلف طبيعتها وظروفها عن جوّ الأرض وظروفها، فلماذا يجزمون بنفي هذه العوالم وهم لا يملكون دليلاً واحداً على نفي وجودها؟لقد نرى حين نناقش هذه القضية أنّ الغيب الذي ينكرونه هو الحقيقة الوحيدة التي يجزم هذا العلم اليوم بوجودها، حتّى في عالم الشهادة الذي تلمسه الأيدي وتراه العيون». (المنظور التاريخي: ٣١ ـ ٥٤).

التفسير مرّ بأربع مراحل:

١ ـ سلسلة مقالات كتبها المؤلّف في مجلّة «المسلمون» بعنوان: «في ظلال القرآن»، استطاع من خلالها أن يفسّر القرآن من البداية حتّى الآية (١٠٣) من سورة البقرة.

٢ ـ بعد المرحلة الأُولى عزم سيّد قطب أن يجمع المقالات ويبدأ بتفسير القرآن في ثلاثين جزءاً، في عام ١٩٥٢م طبع الجزء الأوّل من تفسير «في ظلال القرآن» من قبل دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، وحتّى عام ١٩٥٤م طبع ستّة عشر جزءاً منه.

٣ ـ في عام ١٩٥٤م اعتقل سيّد قطب، وحكم عليه بالسجن لمدّة خمسة عشر عاماً. عندما أُودع السجن الأوّل لم يتمكّن من إنجاز كتابه «في ظلال القرآن»، وذلك نظراً للتعذيب الشديد والضغوط النفسية التي عاشها هناك. ولكن بعد أن انتقل إلى سجن منطقة «ليمان طرّة» ومع تحسّن وضعه الجسمي والروحي استطاع أن يتمّ كتابة التفسير.

٤ ـ عندما كان في معتقله راح سيّد قطب يفكّر في ما هو السبب الذي أدّى بالحكومة أن تعرّضه لكلّ هذا العذاب؟ فوجد أنّ السبب يكمن في المنهج الثوري والمسار الجهادي الذي اختطّه، وهمومه في التغيير والإصلاح. من هنا أخذ على نفسه أن يفسّر القرآن الكريم تفسيراً حركياً وثورياً. فبدأ بتفسير الأجزاء الثلاثة الأخيرة، ومن ثمّ كتب الأجزاء العشرة الأُولى على أساس هذا المنحى.

وقامت دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة بطباعة هذه الأجزاء. بعد ذلك أعاد كتابة الجزء (١١ و١٢ و١٣) بمنحى جهادي ثوري، إلّا أنّه لم يتمكّن من كتابة بقيّة الأجزاء؛ لأنّه أُعدم في تلك الفترة.

«في ظلال القرآن» أُعيد طبعه مرّات ومرات، وترجم إلى اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والفارسية، والأُوردية، والإسبانية، وغيرها من اللغات.

في هذا التفسير أفاد سيّد قطب من منهجه الإبداعي الذي يقوم على أساس النظرة إلى القرآن من زاوية ثورية وحركية، ومن هنا بالذات عدّ سيّد قطب من المجدّدين في التفسير(١).

بعد انتصار الثورة الإسلامية قام سماحة آية الله الخامنئي بترجمة الجزء الأوّل والثاني من تفسير «في ظلال القرآن» إلى الفارسية. كما قام الأُستاذ محمّد علي عبادي والأُستاذ أحمد آرام بترجمة المجلّد الأوّل والثاني من هذا التفسير. وفي الفترة الأخيرة ظهرت الترجمة الكاملة لتفسير «في ظلال القرآن» في ثماني مجلدات بقلم الدكتور مصطفى خرّم دل.

٢٠ ـ الدراسات الإسلامية.

نشرته مكتبة الشباب المسلم، عام ١٩٥٣م.

يتضمّن الكتاب (٣٥) مقالاً كان قد نشرها سيّد قطب في العديد من الصحف والمجلّات المصرية. المقالات تعالج موضوعات متنوّعة حول مظاهر الفساد في المجتمع، والسبل الكفيلة بمعالجة هذه المظاهر.

يمتاز الكتاب بلغة ثورية وصراحة عالية.

في مقدّمته على الكتاب وصف الدكتور مجد الدين الخطيب سيّد قطب بأنّه لسان الدين.

---

(١) المفسّرون للإيازي: ٥١٣ ـ ٥١٥.

ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية بقلم الأُستاذ السيّد هادي خسروشاهي، وطبعته دار «نشر شفق». وباقتراح من اللجنة المركزية للاتّحاد الإسلامي للطلبة الإيرانيّين المقيمين في أُوربا أعاد الأُستاذ خسروشاهي ترجمته، ووزّع في كافّة أنحاء أُوربا.

٢١ ـ هذا الدين.

نشرته دار القلم في القاهرة لعام ١٩٦٠م.

ألّف سيّد قطب هذا الكتاب عندما كان في السجن. والكتاب يعبّر عن مرحلة جديدة في فكر سيّد قطب حول الحركة الإسلامية والثورة الإسلامية.

٢٢ ـ خصائص التصوّر الإسلامي.

نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة لعام ١٩٦٢م.

يعدّ هذا الكتاب من أعمق مؤلّفات سيّد قطب، حيث يتناول خصائص التصوّر الإسلامي أو قل خصائص الأيديولوجية الإسلامية.

يتضمّن الكتاب أفكار ورؤى صريحة وجريئة حول إقامة الحكومة الإسلامية من دون خوف أو وجل.

تمّت ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية بقلم الأُستاذ السيّد محمّد الخامنئي، وطبع بطهران.

٢٣ ـ المستقبل لهذا الدين.

نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة.

يتناول الكتاب الحضارة الغربية، ويبحث كيف أنّها في طريقها إلى السقوط والهزيمة، وأنّ الإسلام هو الذي سيحكم العالم في المستقبل.

قام سماحة السيّد علي الخامنئي بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية،

وكتب مقدّمة ضافية حول الكتاب، جاء فيها:

«يسعى المؤلّف المحترم من خلال فصول هذا الكتاب والتي نظّمت بطريقة مبتكرة إلى تعريف الدين وبيان حقيقته وماهيته، وبعد أن يعرّف الدين بأنّه منهج للحياة، وأنّ الشعائر الدينية لا تكون مفيدة وضرورية ما لم تكن تتضمّن مفاهيم واقعية ومعانٍ حقيقية، يتعرّض إلى إثبات هذه الحقيقة، وهي أنّ مستقبل العالم سيكون من حصّة الإسلام، وأنّ الإسلام هو الذي سيحكم المعمورة بأكملها، وذلك بلغة عصرية ورؤية كونية خاصّة به. وكذلك هي سائر مؤلّفات هذا المفكّر المجاهد، كلّ واحد منها يعدّ لبنة على طريق تشييد البنية المعرفية للمدرسة الإسلامية، كما أنّها ـ هذه المؤلّفات ـ تعمل على صيانة وحراسة الإسلام ممّن يحاول الكيد بالإسلام وإظهاره بمظهر غير لائق وغير منطقي وبلا ثمرة»(١).

٢٤ ـ معالم في الطريق.

بنشر مكتبة وهبة في القاهرة لعام ١٩٦٤م.

هذا الكتاب آخر ما دبّجه يراع سيّد قطب. الكتاب يصدع بكلّ صراحة وجرأة بضرورة إقامة دولة إسلامية في مصر، وقد تبنّاه الأُخوان كمشروع عمل بالنسبة لهم. كما يعدّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى إعدام سيّد قطب.

في هذا الخصوص تقول زينب الغزالي: «إذا أردتم أن تعرفوا لماذا أُعدم سيّد قطب فاقرأوا كتاب معالم في الطريق».

هذا الكتاب نقله إلى اللغة الفارسية الأُستاذ حسن أكبر مرزناك، وتكفّلت طبعه ونشره مؤسّسة «خدمات فرهنگي» (الخدمات الثقافية).

---

(١) آينده در قلمرو إسلام (المستقبل لهذا الدين): ١٥.

٢٥ ـ مقوّمات التصوّر الإسلامي.

يعد هذا الكتاب تتّمة لكتاب «خصائص التصوّر الإسلامي».

٢٦ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة.

طبع في دار الشروق / القاهرة.

ب ـ الكتب التي طبعت بعد استشهاده:

هذه الكتب هي بالأصل مجموعة مقالات كتبها سيّد في صحف مختلفة، قام بجمعها أشخاص على شكل كتاب.

١ ـ أفراح الروح.

بنشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٧١م.

وهي مجموعة تأمّلات وذكريات لسيّد قطب عندما كان في أمريكا.

٢ ـ نحو مجتمع إسلامي.

مكتبة الأقصى / عمّان / ١٩٦٩م.

وهي مجموعة مقالات كان قد كتبها سيّد قطب في مجلّة «المسلمون».

٣ ـ في التاريخ فكرة ومنهاج(*).

(*) كتب سيّد قطب بحثاً مركّزاً بعنوان (في التاريخ: فكرة ومنهاج) قدّم فيه ملامح المنهج الإسلامي الذي يتحتّم اعتماده في أيّة محاولة مخلصة لكتابة أو إعادة كتابة التاريخ الإسلامي عبر مسيرته الطويلة، أو خلال جوانب منها فحسب.

ولعلّ سيّد أراد بهذا البحث أن يكون بمثابة مفتاح أو إضاءة لطرائق العمل التي تعهّدت جماعة من المؤرّخين الإسلاميّين ـ كان هو من بينها ـ أن تُعيد على هَدْيها كتابة التاريخ الإسلامي، ولكن يبدو أنّ الظروف المرحلية الصعبة التي مرّت بها مصر بُعَيْد تشكيل هذه

←

← الجماعة حالت دون مواصلة الطريق وتنفيذ المحاولة التي لا تزال تنتظر رجالها، رغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً على الدعوة إليها.

ومهما يكن من أمر، فإنّ هذا البحث الموجز (ذا الصفحات العشرين من الحجم المتوسّط) يكفي، على ضيق مساحته، لتشكيل (ملامح) منهج البحث الذي نادى به سيّد قطب للتعامل من خلاله مع تاريخنا الإسلامي تركيباً وعرضاً وتحليلاً وتفسيراً.

ينطلق الرجل من حقيقة أنّ «التاريخ ليس هو الحوادث، إنّما هو تفسير لهذه الحوادث واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفيّة التي تجمع بين شتاتها وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدّة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان».

ثمّ يعرض لشروط هذا النمط الشمولي في فهم التاريخ. إنّ المؤرّخ «ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقوّمات البشرية جميعها: روحية وفكرية وحيوية، ومقوّمات الحياة البشرية جميعها: معنوية ومادّية، وأن يفتح روحه وفكره وحسّه للحادثة، ويستجيب لوقوعها في مداركه، ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلّا بعد تحرّج وتمحيص ونقد. فأمّا إذا كان يتلقّاها بادئ ذي بدء وهو معطّل الروح أو الفكر أو الحسّ عن عمد أو غير عمد، فإنّ هذا التعطيل المتعمّد أو غير المتعمّد يحرمه استجابة معيّنة للحادثة التاريخية، أي: أنّه يحرمه عنصراً من عناصر إدراكها وفهمها على الوجه الكامل. ومن ثمّ يجعل تفسيره لها مخطئاً أو ناقصاً».

فمنذ الضربة الأُولى يتميّز منهج البحث الإسلامي في التاريخ عن مناهج الماديّين والمثاليّين على السواء، تلك المناهج التي تتعمّد لهذا السبب أو ذاك أن تعطّل جانب الروح أو الفكر أو الحسّ في الإنسان وفي الحياة البشرية على السواء، وذلك عبر تعاملها مع وقائع التاريخ، ومن ثمّ يجيء تفسيرها ناقصاً مبتوراً، وتكون حركتها عرجاء في أرجاء الزمان والمكان.

ومعروف كيف يضخّم المثاليّون دور العقل في صياغة حركة التاريخ على حساب الحسّ والمادّة، ومعروف كذلك كيف يضخّم المادّيون التاريخيّون دور المادّة في صياغة حركة التاريخ على حساب العقل، وكيف يلغون الروح إلغاءً.

إنّ المنهج الإسلامي وسط بين هذا وذاك، شاملٌ لهذا وذاك، وكأنّ المادّية الديالكتيكية القائلة ←

→ باجتماع النقائض وبالعلاقة الجدلية (التركيبية) بينها في الموحّد الشامل قد عجزت عن تنفيذ رؤيتها بالذات في مجرى التاريخ، فجنحت صوب هذا الاتّجاه أو ذاك.
أمّا الرؤية الإسلامية فإنّها تؤكّد حقيقة الترابط والتكامل والوئام، لا أقول: بين النقائض، ولكن بين عناصر الكينونة البشرية ومقوّمات الحياة كافّة، بعيداً عن دجل الجدل الديالكتيكي، رغم تعثّر الكلمات!
وبصدد تاريخنا الإسلامي فإنّ «هذه الاستجابة الناقصة هي أوّل ظاهرة تتّسم بها البحوث الغربية عن الموضوعات الإسلامية. ذلك أنّ هناك عنصراً ينقص الطبيعة الغربية بصفة عامّة لإدراك الحياة الشرقية بصفة عامّة، والحياة الإسلامية على وجه الخصوص: عنصر الروحية الغيبية، وبخاصّة في العصور الحديثة، بعد غلبة النظريات المادّية والطريقة التجريبية على وجه أخصّ، وكلّما كانت هذه الموضوعات الإسلامية ذات صلة وثيقة بالفترة الأُولى من حياة الإسلام كان نقص الاستجابة إليها أكبر في العقلية الغربية الحديثة. وقد ذكرت عنصر الروحية الغيبية على وجه التخصيص؛ لأنّه أظهر مايبدو فيه هذا النقص في الطبيعة الغربية، وفيه تكمن معظم أوجه الاختلاف بين الطبيعتين، وهي شتّى كثيرة».
«هذه المقدّمة الصغيرة ـ يقول سيّد قطب ـ: لابدّ منها في بيان ما في تناول المؤرّخين الغربيّين للتاريخ الإسلامي من نقص طبيعي في الإدراك، ونقص طبيعي في الفهم، ونقص طبيعي في التفسير والتصوير. فانعدام عنصر من عناصر الاستجابة للحادثة أو ضعفه، لا بدّ أن يقابله نقص في القدرة على النظر إلى الحادثة من شتّى جوانبها، وضياع عنصر من عناصر التقويم والحكم لا يُؤمَن معه سلامة هذا الحكم، أو على الأقل لا يسلَم على علّاته».
فهي النظرة الجزئية المتمخّضة عن عدم تحقّق الغربي بعناصر تكوينه الإنساني، وعدم استقامة فهمه للحياة البشرية على مداها. إنّ إلغاء الروح والغيب عموماً من الحساب هو ولا ريب أخطر عملية تعطيل يمارسها الإنسان تجاه الحياة والتاريخ والوجود، بما أنّ هذين الجانبين يمتدّان إلى مساحات واسعة من تكوين العالم والحياة، ويلعبان دوراً «كبيراً» في صيرورة العالم والحياة والتاريخ بالتالي. إنّ هذا النقص ـ كما يؤكّد سيّد ـ ليس مجرّد خطأ جزئي في تفسير حادثة أو تصوير حالة، ولكنّه يُعَدّ عيباً في منهج العمل التاريخي ذاته، وهو ـ بسبب ما عُرِفَ عنه من دقّة وموضوعية في إصدار الأحكام ـ لا يغيب عن باله أنّ هذا
←

← النقص ليس ناشئاً بالضرورة عن الطبيعة الغربية ذاتها ومُلابسات حياتها البيئية والتاريخية فحسب، وإنّما قد يتمخّض أحياناً عن تعمّد المؤرّخ الغربي تعطيل هذا العنصر استجابةً لمنهج معيّن في الدراسة.

هذا المنهج ـ يؤكّد سيّد ـ غير صالح لتناول الحياة الإسلامية، بل لتناول الحياة الشرقية على وجه العموم. ولكن عدم الصلاحية يتجلّى في جانب الدراسات الإسلامية أوضح وأقوى».

إضافة إلى هذا الخلل العميق في منهج الغربيّين والذي يجعله غير قدير على التعامل مع كلّ ما هو إسلامي في الفكر والحياة والعقيدة والتاريخ، فإنّ ثمّة أسباباً أُخرى تدفع إلى الشكّ في قيمة الدراسات التاريخية الغربية للحياة الإسلامية تتمثّل بزاوية الرؤية التي يطلّ منها الأُوروبي على التاريخ وبحشدٍ من المؤثّرات التي حفرت خنادق عميقة في موقف الغربي من الإسلام.. «إنّه لا يخفى أنّ كلّ مرئي يختلف شكله باختلاف زاوية الرؤية. وكذلك الشأن في الأحداث والوقائع. والأُوربي بطبيعته ميّال الى اعتبار أُروبا هي محور العالم، فهي نقطة الرصد في نظره. ومن هذه الزاوية ينظر إلى الحياة والناس والأحداث. ومن هنا تتّخذ في نظره أشكالاً معيّنة، ليس هناك مَن يملك الجزم بأنّها أصحّ الأشكال، وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسّرها ويحكم عليها كما يراها. وإذا كان بديهياً أنّ أُوروبا لم تكن هي محور العالم في كلّ عصور التاريخ، وكان الأُوربي لا يملك اليوم أن يتخلّص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضي، أدركنا مدى انحراف الزاوية التي ينظر بها الأُوربي للحياة الإسلامية التاريخية، ومدى أخطاء الرؤية التي يضطرّ إليها اضطراراً، ومدى أخطاء التفسير والحكم الناشئة من هذه الرؤية المعيّنة. ذلك كلّه على افتراض النزاهة العلمية المطلقة وانتفاء الأسباب التي تؤثّر على هذه النزاهة. فإذا نحن وضعنا في الحساب ما لا بدّ من وضعه، وما لا يمكن جدّيّاً إغفاله من أسباب مُلِحّة قاهرة عميقة طويلة الأجل متجدّدة البواعث، تؤثّر في نظرة الأُوروبي للإسلام وللحياة الإسلامية وللعالم الإسلامي، من اختلاف في العقيدة، إلى كراهية لهذا الدين وأهله، إلى ذكريات تاريخية مريرة في الأندلس وفي بيت المقدس وفي الآستانة وفي سواها، إلى صراع سياسي واقتصادي واستعماري، إلى نزوات شخصية والتواءات فكرية، إلى آخر تلك البواعث القديمة المتجدّدة أبداً، إذا نحن وضعنا في الحساب ذلك كلّه، وأضفنا إليه خطأ الرؤية، أمكن أن نقدّر قيمة الدراسات الأُوربية في ←

← الحقل الإسلامي ـ وبخاصّة في التاريخ ـ قدرها الصحيح، وأن نتحرّز التحرّز العلمي الواجب لا من قبول هذه الدراسات على علّاتها، بل من قبول المنهج الذي قامت عليه، أو محاولة اتّباعه في دراساتنا الإسلامية على وجه الخصوص».

ولكن الذي حدث ـ ولا يزال يحدث للأسف ـ أنّ معظم مؤرّخينا من أبناء عالم الإسلام أنفسهم قبلوا هذه المنهج، وسلّموا بأوّلوياته، ورأوا في مقولاته الحقّة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بعضهم عن اقتناع بصواب هذا المنهج، وبعضهم عن رغبة منفعية في تحقيق أهداف شخصية، وبعضهم عن وقوع تحت تأثير عمليات (غسيل المخّ) طويلة المدى التي يتعرّض لها الطالب في المؤسّسات الغربية طيلة مراحل دراسته هناك، وآخرون قبلوا المنهج ووصلوا في الإعجاب به والتعبّد لمنظوماته حدّ القدسية؛ لسبب آخر غير هذه الأسباب جميعاً: إنّه الإعجاب بكلّ ما هو غربي في مناهج الفكر والحياة وطرائقها.. إنّهم امتداد لجيل الصدمة الذي اكتسحه تفوّق الحضارة الغربية.. زمن الشلل والتخلّف والانحطاط والعقود!ومن عجب أن يستمرّ الإعجاب نفسه رغم أنّ جيل الصدمة مَضَت عليه حِقَب متطاولة وأصبح خبراً من الأخبار. إنّ أسباب التزام المنهج الغربي الخاطئ في التعامل مع التاريخ كثيرة جدّاً، وليس من السهولة بمكان انتزاع جذورها العميقة في الأفكار والنفوس.

«إنّ التاريخ الإسلامي يجب أن تُعاد كتابته بأسس جديدة وبمنهج آخر»، هذا هو الشعار الذي يرفعه سيّد بمواجهة ذلك الخطأ، وهذا هو البديل.

وقبل أن يستعرض ملامح ومقوّمات هذا المنهج البديل يُشير إلى أنّ تاريخنا الإسلامي موجود اليوم في صور ثلاث لا تصلح جميعاً لعرض هذا التاريخ بالصيغة (الموضوعية) الأكثر قُرباً من بنية هذا التاريخ وتركيبه وصيرورته، ومن ثَمّ فإنّ اعتماد منهج إسلامي للعمل يُعَدّ ضربة لازب لا معدىً عنها.

فأمّا الصورة الأُولى فهي تلك التي نلتقي بها في المصادر العربية القديمة. وهذه ـ يقول سيّد ـ: «من التجوّز الشديد أن تُسمّى تاريخاً، بل هي لا يمكن أن تحمل هذا الاسم، فهي نثار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتَف والمِلَح والخرافات والأساطير والرويات المتضاربة والأقوال المتعارضة على كلّ حال. وإن كانت ـ بعد ذلك كلّه ـ غنيّة

←

← كمصدر تاريخي بالمواد الخام التي تُسعِف مَن يريد الدراسة ويوهب الصبر ويحاول الغربلة بالمواد الأوّلية اللازمة له في بناء هيكل التاريخ».
ثَمّة تحفّظ يتحتّم أن يُطَرح إزاء الصورة كما يعرضها سيّد: إنّ مصادرنا القديمة ليست كلّها نثاراً من الحوادث والحكايات والنتَف والخرافات والروايات المتضاربة والأقوال المتعارضة.. إنّ بعضها اعتمد منهجاً نقدياً ورفض أن يجمع في إهاب واحد ما يصدق وما لا يحتمل التصديق.. مارس قدراً طيّباً من الغربلة وصولاً إلى أكثر الوقائع قُرباً من الصواب. وبعضها الآخر دَعَا بإلحاح إلى رفض الاستسلام للتناقضات للروايات الضعيفة والأكاذيب، ومجابهة التيّار بقدرٍ من الرؤية المتبصّرة التي تعرف مظانّ الصواب فتأوي إليها ومظانّ الخطأ فتتحاشاها.. إنّ ابن خلدون وابن العربي وغيرهما هما نماذج لهذا النمط من المؤرّخين القُدامىٰ، ولكنّهما يبقيان بمثابة استثناء لقاعدة أطول بكثير وأعرض بكثير، وسيّد يتحدّث عن القاعدة وليس عن الاستثناء.
وأمّا الصورة الثانية لتاريخنا الإسلامي «فهي الموجودة في المصادر الأُوربية، وبخاصّة في أعمال المستشرقين، وهي الصورة التي تحدّثنا من قبل عنها، وألقينا عليها في إجمالٍ بعض الأضواء. وهي تعتمد في جملتها على المصادر العربية القديمة، وهي على ترتيبها وتنسيقها تتّسم بتلك السمات التي لا تطمئن الباحث الواعي إليها. وهي في أحسن صورها دراسة من الظاهر للحياة الإسلامية ـ إذا صحّ التعبير ـ وخير ما فيها هو الجهد في جمع النصوص وتحريرها وتنسيقها والموازنة بين الروايات المختلفة من ناحية السند الخارجي لا من ناحية الإدراك الداخلي ؛ لأن هذا الإدراك هو الذي يحتاج إلى تلك الحاسّة الناقصة في شعور الغربيّين تجاه الحياة الإسلامية كما أسلفنا، فضلاً عن الغرض في كثيرٍ من الأحيان والهوىٰ، ممّا يخلّ بنزاهة الموازنة، فضلاً عن فقد عنصر التجاوب الكامل مع المؤثّرات جميعاً».
وأمّا الصورة الثالثة «فلا تزيد عن أن تكون ظِلالاً باهتةً أو كاملةً للدراسات الأُوربية، حتّى وهي تناقش أحياناً أو تعارض هذه الدراسات. فهي أوّلاً: تتّبع الغربي في صميمه دون زيادة، وهي ثانياً: تستمدّ عناصرها من الدراسات الغربية في الغالب، وهي ثالثاً: متأثّرة بالإيحاءات الغربية من ناحية زاوية الرؤية، فهي لا تقف في المركز الإسلامي لتطلّ منه على تلك الحياة؛
←

← لأنّها ليست من القوّة والأصالة بحيث تجد نفسها في خضمّ الثقافات الغربية لتفهم الإسلام بعقلية أصيلة وعلى ضوء كذلك أصيل. والعقلية التي تحكم على الحياة الإسلامية ينبغي أن تكون في صميمها إسلامية مُشْرَبَة بالروح الإسلامي؛ لكي تدرك العناصر الأساسية في هذه الحياة وتحسبهاوتتجاوب معها، فتستكمل كلّ عناصر التفسير والتقدير».

ولا ننسى هنا أنّ سيّد كتب بحثه هذا في بداية الخمسينات، يوم أن لم يكن في مكتبة التاريخ الإسلامي من الأبحاث الأصيلة التي تنطلق من زاوية الرؤية الإسلامية سوى ما يُعَدّ على أصابع اليد الواحدة لا اليدين. ولكن حدث عبر العقود الثلاثة التالية أن برز في الساحة من كُتّاب الفكر الإسلامي ومؤرّخيه حشد طيّب أغنى تلك المكتبة بعطاء وفير يتميّز بالصدق والأصالة والالتزام، ويبشّر بعطاء واعِد قد يسدّ الكثير من الفجوات في مسيرة تاريخنا الإسلامي عبر رحلته ذات الأربعة عشر قرناً.

ولكن تبقىٰ محاولة إعادة كتابة هذا التاريخ من أقصاه إلى أقصاه وفق نظرة شمولية متوحّدة، ومن خلال جهد جماعي كذلك الذي دَعَت إليه تلك الجماعة التي تشكّلت في بدء الخمسينات، وكان سيّد نفسه من بين أعضائها، تبقىٰ محاولة كهذه تنتظر مَن يقدم عليها مشمّراً عن ساعد الجدّ ومتوكّلاً على الله وحده، لا على هذه المؤسّسة أو تلك، ولا على هذه الحكومة أو تلك! فإنّ احتواء التاريخ الإسلامي وإصداره بصيغ رسمية هو قتل للمحاولة المُرتجاة وإخراج صيغة لتاريخنا الإسلامي قد يضيف صورة رابعة للصور الثلاث الخاطئة التي مرّت بنا قبل قليل.

مرّة أُخرى ينادي سيّد: يجب أن تُعاد كتابة التاريخ الإسلامي على أُسس جديدة وبمنهج آخر. يجب أن يُنظَر إلى الحياة الإسلامية من زاوية جديدة وتحت أضواء جديدة؛ لكي تعطي كلّ أسرارها وإشعاعاتها، وتنكشف بكلّ عناصرها ومقوّماتها.

ثمّ يبدأ بطرح شروط هذا المنهج ومقوّماته وأوّلوياته: اعتماد المصادر العربية، الانتفاع من الدراسات الغربية، المُعايشة التاريخية، الإدراك الكامل لروح العقيدة الإسلامية ولطبيعة فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة، إدراك البواعث الحقيقية لتصرّفات الناس عبر التاريخ الإسلامي، عدم الوقوف عند حدود الظاهر وتجاوزه صوب الجوانب الروحية والغيبية التي يعدّها الإسلام واقعاً من الواقع، الإلمام ←

← بتجارب البشرية كلّها وبخاصّة في الفترة التي عاصرت مولد الإسلام، الإلمام بوضع الجزيرة العربية بوصفها منطلق الإسلام، ثمّ دراسة دعوة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وشخصيته ضمن السياق الشامل للتاريخ وليس بمعزل عن معطيات الزمن والمكان.

«في هذه الدراسة الجديدة يجب أن تكون المصادر العربية هي المرجع الأوّل، والدراسات الغربية هي المرجع الثاني. على أن ينتفع من هذا المرجع الأخير بتحرير النصوص وتنسيقها، وببعض الموازنات بين شتّىٰ الروايات من جهة السند، ولا شيء ـ بعد ذلك ـ أبداً. فبقية العمل يجب أن تكون ذاتية بحتة غير متأثّرة إلّا بمنطق الحوادث ذاتها، بعد أن يعيش الباحث بعقله وروحه وحسّه في جوّ الإسلام كعقيدة وفكرة ونظام، وفي جوّ الحياة الإسلامية كقطعة من حياة البشرية الواقعية، وهذه الحياة في هذا الجوّ ضرورية جدّاً لتفتح نوافذ إدراكه جميعاً، لا لفهم تلك الحياة فحسب، بل لإدراكها ككائن حيّ، وإدراك مواقع الحوادث والوقائع في جسم هذا الكائن الحيّ.

وإنّه ليعزّ على الباحث في أيّة فترة من الحياة الإنسانية أن يدركها إدراكاً حقيقاً داخلياً، إلّا أن يتجاوب معها بكلّ ذاتيته، وأن يعيش في جوّها بكامل مؤثّراتها وإيحاءاتها، فليست هذه خصيصة قاصرة على الحياة الإسلامية، وإن كانت أكثر وضوحاً بالقياس إلى الحياة الإسلامية؛ لأنّ مقوّمات هذه الحياة تختلف في كثيرٍ من أنواعها وماهيّاتها عن مقوّمات الفترة الحاضرة وبخاصّة في العالم الأُوربي.

وإنّه لصعب أن نتصوّر إمكان دراسة الحياة الإسلامية كاملةً دون إدراكٍ كاملٍ لروح العقيدة الإسلامية، ولطبيعة فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة، وطريقته في الاستجابة للحياة كلّها في ظلّ تلك العقيدة. وهذه الخصائص كلّها لا يمكن أن تُطلَب عند باحث غير عربي بوجه عامّ، ولا عند غير مسلم على وجه التخصيص، وهي الخصائص التي لا بدّ من توافرها عند إعادة كتابة التاريخ الإسلامي.

إنّه لا بدّ من إدراك البواعث الحقيقية لتصرّفات الناس في خلال هذه الحياة التاريخية الإسلامية، وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والتطوّرات والانقلابات، ولا بدّ من ربط هذا كلّه بطبيعة الفكرة الإسلامية وما فيها من روح انقلابية ثورية، لا في شكلها الخارجي وخطواتها العملية فحسب، ولكن في تفسيرها للعلاقات الكونية والإنسانية والاجتماعية، وفي ←

← تصويرها لنظام الحكم وسياسة المال وطرق التشريع ووسائل التنفيذ.. إلخ. وهي كلّها من مقوّمات الحياة وبالتالي من مقوّمات التاريخ لهذه الحياة.
إنّ المعارك الحربية والمعاهدات السياسية والاحتكاكات الدولية وما إليها، ممّا يُعنىٰ به التاريخ غالباً أكثر من سواه، إنّها كلّها محكومة بعوامل أُخرى هي التي يجب أن تبرز عند كتابة التاريخ، هذه العوامل هي التي يختلف الباحثون في إدراكها وتقديرها، كلّ يخضع للفلسفة التي تسيطر على تفكيره وتقديره، أيّ: لطريقة إدراكه للحياة في عمومها، وللباحث المسلم مِزية هنا في دراسة الحياة الإسلامية؛ لأنّ طريقة إدراكه للحياة تمتّ بصلة إلى حقيقة هذه العوامل المؤثّرة في سير التاريخ، ومن ثَمّ فهو أقدر على التلبّس بها واستبطانها والاستجابةً لها استجابة كاملةً صحيحةً.
وعلى ضوء إدراكه العقيدة الإسلامية وطريقة استجابة المسلمين لها، يستطيع أن يَزِنَ دوافع الحياة الإسلامية في تلك الفترة التاريخية والقيم الإنسانية الكامنة فيها وأسباب النصر والهزيمة في كلّ خطوة، وأن يتصوّر الحياة الظاهرة والباطنة لتلك الجماعات الإنسانية في مهد الإسلام الأوّل وفي البلاد التي ينساح فيها، فيضمّ إلى الجوانب الظاهرة التي لا يدرك الغربيّون سواها في الغالب كلّ الجوانب الروحية الخفيّة التي يعدّها الإسلام واقعاً من الواقع ويحسب لها حسابها في سير الزمان وتشكّل الحياة في كلّ زمان ومكان.
ولمّا كانت الحياة الإسلامية فترة من الحياة البشرية، والمسلمون جماعة من بني الإنسان في حيّزٍ من الزمان والمكان، والإسلام رسالة كونية بشرية غير محدودة بالزمان والمكان، فإنّ التاريخ الإسلامي لا يمكن فصله من التاريخ الإنساني. وقد تأثّرت تلك الفترة من غير شكّ بتجارب البشرية كلّها من قبل، وبخاصّة تلك العوامل التي كانت واقعة عند مولد الإسلام، ثمّ أثّرت بدورها في تجارب البشرية من بعد، وبخاصّة تلك الجهات التي امتدّت إليها أو جاورتها. فلا بدّ إذاً عند كتابة التاريخ الإسلامي من الإلمام بالصورة التي انتهت إليها تجارب الإنسانية قبيل مولد الإسلام، والحالة التي صارت إليها المجتمعات البشرية في الأرض، وبخاصّة من ناحية العقائد الدينية وسائر ما يتعلّق بها من أفكار وفلسفات ونظريات، ومن ناحية الأوضاع الاجتماعية وما يتعلّق بها من نظم الحكم وسياسة المال وعلاقات المجتمع والأخلاق والعادات والأفكار؛ كي نتبيّن على ضوئها حقيقة دور الإسلام وطبيعته، ويمكن ←

← تفسير استجابة العالم لهذا النظام الجديد قبولاً أو رفضاً، وتصوّر أسباب الصراع وعوامل النصر والهزيمة كاملةً، وعناصر التفاعل والتدافع والتلاقي والانعكاس على مرّ الأيّام.

وإذا كان الإلمام بوضع العالم إذ ذاك ضرورياً، فإنّ الإلمام بوضع الجزيرة العربية وتصوّر الحياة فيها من كافّة نواحيها أكثر ضرورةً بوصفها مَهْد الإسلام الأوّل من جهة ومركز التجمّع والانسياح من جهة أُخرى. فهل كانت مصادفة عابرة أن يظهر هذا الرسول بهذ الدين في هذا الموضع من الأرض في هذا الزمان؟ إنّ هنالك نظاماً مقدوراً وقصداً مقصوداً وتدبيراً معيّناً وترتيباً موضوعياً لتلتقي هذه الظواهر كلّها حيث التقت؛ كي تؤدّي دوراً معيّناً ليس أقلّ نتائجه تخطيط خريطة العالم في عالم الظاهر وفي عالم الشعور على هذا الوضع الذي صارت إليه الأُمور منذ ذلك التاريخ البعيد.

ولعلّ هذا الخاطر أن يسوق إلى دراسة (محمّد الرسول) في هذا السياق الكوني للتاريخ. ولعلّ في شخصه وفي نسبه وفي بيئة حياته وفي تقاليد بيئته وبسائر ما يحيط بالفرد الإنساني من مقوّمات، عوامل مقصودة ومُوافقات مدبّرة، وإنّها لم تكن مصادفة عابرة أن يُشار إليه من بين الجموع البشرية الحاشدة وأن يقال له: أنت. فانتدب لهذا الحَدَث الكوني الذي لم يُسبق ولم يلحق بنظير. ولعلّه كذلك أن يسوق إلى دراسة طبيعة هذا الحَدَث والفكرة الكلّيّة التي يتضمّنها قبل البدء في دراسة الأحداث والانقلابات العالمية التي تمّت على أساسها.

وبذلك تتهيّأ للقارئ لمثل هذا التاريخ صورة مُستكمَلة الجوانب لكلّ الأوضاع والأحوال التي نشأت عنها الاستجابات التي وقعت بالفعل في تاريخ الإسلام في الفترة التي تلَت ظهوره، كما يتهيّأ له تفسير هذه الاستجابات تفسيراً صحيحاً مُستكمِلاً لكلّ عناصر الحكم والتقدير.

وبذلك يستحيل التاريخ عملية استبطان وتجاوب في ضمائر الأشياء والأشخاص والأزمان والأحداث، ويتّصل بناموس الكون ومدارج البشرية، ويصبح كائناً حيّاً ومادّة حياة».

يطرح سيّد ـ بعد ذلك ـ تقسيماً موضوعياً وزمنياً لكتابة التاريخ الإسلامي وفق المنهج الجديد، وهو نفسه الذي قرّرت اعتماده (جماعة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي) في مطلع الخمسينات، والتي كان سيّد أحد أعضائها، حيث قسّمت الجماعة حقول البحث، كما يشير

←

← سيّد نفسه في نهاية مقاله إلى المراحل التالية: «مقدّمات التاريخ الإسلامي»، وتتضّمن: الشروط والمقوّمات التي يتحتّم اعتمادها في المنهج الجديد، والتي مرّت بنا قبل قليل، «الإسلام على عهد الرسول»، «المدّ الإسلامي»، «الانحسار الإسلامي»، «العالم الإسلامي اليوم».

ولنا أن نرجع إلى تفاصيل هذا التقسيم الذي يدعو سيّد إلى تنفيذه في كتابة التاريخ الإسلامي، حيث نجده يقول: «متى استقام البحث على ذلك المنهج الذي أسلفنا في «مقدّمات التاريخ الإسلامي» وبرزت تلك المقوّمات الأساسية لطبيعة الدعوة، وطبيعة الرسول، وطبيعة البيئة التي استقبلت الدعوة والرسول، وطبيعة المجتمع الإنساني الذي كان يعاصر مولد الإسلام، وطبيعة العقائد والأفكار التي كانت تسوده يومذاك، متى برزت تلك المقوّمات الأساسية سَهُلَ تتّبع نشاطها وتفاعلها وصيرورتها، وأمكن تصوير وتصوّر خطوات الدعوة على عهد الرسول ﷺ، هذه الخطوات التي تسير متأثّرة في هذا الجيل، أن نعرف كيف اختار الرسول رجاله؟ ومن أيّة طينة كان هؤلاء الرجال؟ وكيف صاغ الرسول رجاله؟ وكيف أعدّهم للمهمّة العظمىٰ؟ وكيف بنىٰ نظامه؟ وعلى أيّ الأُسس قام هذا النظام الجديد؟ وماذا كان في طبيعتها، وفي ظروفها، وفي رجالها، وبيوتها، وعشائرها، وفي علاقاتها الاجتماعية، ومُلابساتها الاقتصادية، والجغرافية، والحيوية، من استعداد لتلبية هذا الحَدَث أو معارضته؟ إلى آخر هذه المباحث التي تصوّر المرحلة الأُولى من مراحل حياة الإسلام أو من تاريخ الإسلام، والتي تصحّ تسميتها باسم (الإسلام على عهد الرسول).

ثمّ تجيء المرحلة الثانية مرحلة (المدّ الإسلامي)، وذلك عندما انساح الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، عندما فاض ذلك الفيض الانفجاري العجيب الذي لم يعرف له العالم نظيراً في سُرعته وفي قوّته، لا من ناحية الفتح العسكري وحده، ولكن من ناحية التأثير الروحي والفكري والاجتماعي أيضاً، أي: من الناحية الإنسانية الشاملة التي شَهِدَت تحوّلاً كاملاً في خطّ سير التاريخ على مولد هذا الدين الجديد وانتشاره ذلك الانتشار العجيب.

وهنا تبدو قيمة المنهج الذي أشرنا إليه، ويمكن تتّبع أعمال الهدم والبناء التي قام بها الإسلام في تلك الرقعة الفسيحة التي امتدّ إليها، وتفاعله مع الأفكار والعقائد التي كانت سائرة فيها، ومع النظم الاجتماعية التي كانت تظلّلها، ومع الظروف الاقتصادية والمُخَلّفات التاريخية ←

→ والمُلابسات الإنسانية في أخصب بِقاع الأرض وأكثرها حضارةً في ذلك الزمان.
والمدّ الإسلامي لم يقف عند الحدود التي وصلت إليها فتوحاته العسكرية، فلقد امتدّت الموجة الفكرية والحضارة التي كوّنها إلى ما وراء حدود العالم الإسلامي قطعاً. ولا بدّ من دراسة آثار هذا المدّ فيما وراء هذه الحدود، دراستها طرداً وعكساً في حياة العالم الإسلامي ذاته، وفي حياة العالم كلّه. لقد أخذ هذا العالم من الإسلام وأعطى، وقد تأثّر به وأثّر فيه. ودراسة هذه التفاعلات في ضوء المنهج الذي صوّرنا خصائصه كفيلة بأن تنشِئ صورة للعالم الإنساني وخطواته الحيّة مختلفة قليلاً أو كثيراً عن الصورة التي اعتاد الغربيّون أن يرسموها، والتي اعتدنا نحن أن نراها!
ثمّ يجيء دور (انحسار المدّ الإسلامي)، وعلى ضوء هذا المنهج وضوء دراسة المراحل التاريخية السالفة يمكن أن نتبيّن أسباب هذا الانحسار وعوامله الداخلية والخارجية جميعاً. كم من هذه العوامل من طبيعة العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامي ؟هل كان هذا الانحسار شاملاً أم جزئياً؟وسطحياً أم عميقاً؟ وما أثر هذا الانحسار في خطّ سير التاريخ، وفي تكييفه أحوال البشر، وفي قواعد التكفير والسلوك، وفي العاقلات الدولية والإنسانية؟وما وزن الأفكار والنظم والعقائد التي استحدثتها الإنسانية بالقياس إلى نظائرها في الإسلام؟وماذا كسبت البشرية، وماذا خسرت من وراء انحسار المدّ الإسلامي وظهور هذا المدّ الأوربي الذي لا تزال تظّللنا بقاياه؟
ومن ثمّ يصبح الحديث عن (العالم الإسلامي اليوم) طبيعياً وفي أوانه وقائماً على أُسسه الواضحة الصريحة، وليس حديثاً تُمليه العاطفة أو التعصّب من هذا الجانب أو ذاك. ويصبح التاريخ الإنساني في ضوء منهجنا الخاصّ مسلسل الحلقات متشابك الأواصر، ويتحدّد دور الإسلام في هذا التاريخ في الماضي وفي الحاضر، وتتبيّن خطوطه في المستقبل على ضوء الماضي والحاضر.
وثمّة ما يؤكّد عليه سيّد بعد استعراض التقسيمات المقترحة: «إنّ دراسة من هذا الطراز وعلى هذا النسق لن يكون من برنامجها تناول الحوادث التاريخية بالتسلسل الحرفي والتفصيل الوافي، فوظيفتها الأساسية أشبه شيء بوظيفة الخطّ البياني يُشير ولا يُحصي، ويُرشد ولا يستقصي. وبعبارة أُخرى: أنّ وظيفة دراسة من هذا النوع هي محاولة إيجاد عقلية
←

يتضمّن مقالين نشرتهما مجلّة «المسلمون» عام ١٩٥١م.

٤ ـ معركتنا مع اليهود.

طبعته الدار السعودية للنشر.

وهو يتضمّن مجموعة مقالات لسيّد قطب كانت قد نشرت في مجلّة «الدعوة».

٥ ـ تفسير سورة الشورى.

طبعته الدار السعودية للنشر.

وقد تمّ اقتباسه من تفسير «في ظلال القرآن».

٦ ـ تفسير آيات الربا.

اقتبس من تفسير «في ظلال القرآن».

٧ ـ الجهاد في سبيل الله.

نشر الاتّحاد الإسلامي لعام ١٩٦٩م.

يتضمّن مجموعة بحوث حول الجهاد، تمّ اقتباسها من كتاب «معالم في الطريق».

٨ ـ سيناء بين أطماع الاستعماريّين والصهيونيّين.

طبع من قبل «الأُخوان المسلمين» عام ١٩٦٧م.

٩ ـ رسائل استلّت من الظلال.

← تاريخية معيّنة وصورة تاريخية خاصّة تفيد الذين يتناولون الحوادث التاريخية بالتفصيل والشخصيات التاريخية بالتحليل»...

وبذلك يمنحنا سيّد العديد من الجوانب المرتبطة بمنهج البحث في التاريخ. ويقيناً فإنّ الرجل لو أُتيح له التفرّغ لحقل العمل التاريخي لكان قد أضاف الكثير إلى هذا الحقل من حقول الفكر التاريخي، ولكن انشغاله بميادين العمل الأُخرى التي لا تقلّ أهمية وضرورة صدّه عن المضي في الطريق إلى غايته. (المنظور التاريخي: ١١ ـ ٢٨).

١٠ ـ لحن الكفاح.

مجموعة أشعار لسيّد قطب.

١١ ـ لماذا أعدموني؟

مجموعة الأسئلة التي طرحها ضابط التحقيق على سيّد قطب عندما كان في السجن، مع إجابات سيّد قطب عليها.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية من قبل الأُستاذ مصطفى أربابي في بلوشستان.

ج ـ مجموعة كتب لم تطبع حتّى الآن:

١ ـ دراسة عن شوقي(١).

٢ ـ المراهقة.. أخطارها وعلاجها.

وهو كتاب يُعنى بقضايا التربية ومشاكل الشباب.

٣ ـ المرأة لغز بسيط.

٤ ـ المرأة في قصص توفيق الحكيم(٢).

---

(١) أحمد شوقي: أمير الشعراء العرب. ولد في القاهرة عام ١٨٦٨ م، ودرس في عدّة مدارس، ثمّ التحق بجامعة مونتبليه بفرنسا، ونال الإجازة في الحقوق، وبعد جولة في القارّة الخضراء عاد إلى مصر. قرّبه عبّاس حلمي، ومثّل مصر في مؤتمر المستشرقين في جنيف سنة ١٨٩٤ م، ونفي إلى إسبانيا بعد إقالة الأمير عبّاس من منصبه، ثمّ عاد إلى مصر سنة ١٩١٩ م، وأسهم في الحياة السياسية والاجتماعية المصرية. من آثاره: الشوقيّات، ومصرع كليوباترا. توفّي سنة ١٩٣٢ م. (الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٤٣٥ ـ ٤٦٠، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٤: ٤٨٦ ـ ٥١٣).

(٢) توفيق الحكيم: روائي وكاتب مسرحي مصري، يعتبر أحد أبرز الروائيّين والكتّاب المسرحيّين العرب في النصف الأوّل من القرن العشرين. ولد عام ١٨٩٨م لأب مصري وأُمّ

←

٥ ـ **أصداء الزمن**، ديوان شعر.

٦ ـ **الناس المسمومة**، ديوان شعر.

٧ ـ **قافلة الطريق**، ديوان شعر.

٨ ـ **حكم الفجر**، ديوان شعر.

٩ ـ **القطط الضالّة**، رواية.

١٠ ـ **من أعماق الوادي**، قصّة.

١١ ـ **المذاهب الفنّية المعاصرة**، نقد.

١٢ ـ **الصور والضلال في الشعر العربي**، نقد.

١٣ ـ **القصّة في الأدب العربي**، نقد.

١٤ ـ **شعراء الشباب.**

١٥ ـ **قصّة المدينة**، نقد.

١٦ ـ **الشريف الرضي**(١).

← تركية، ونال إجازة الحقوق من القاهرة. استمدّ موضوعاته من الواقع المصري ومن التاريخ وبعض الأساطير، وكتب بعض آثاره باللهجة المصرية. أشهر أعماله الروائية: عودة الروح، يوميات نائب في الأرياف، عصفور من الشرق. وأهمّ أعماله المسرحية: شهرزاد، أهل الكهف. توفّي سنة ١٩٨٧ م. (موسوعة المورد ٥: ٥٩، شخصيات لها تاريخ: ٩٨ ـ ٩٩).

(١) أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي: أحد أعلام الإسلام وأُدبائه. ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ، وطلب العلم، وظهرت عليه أمارات النبوغ. قرأ على: الشيخ المفيد، والسيرافي، وابن جنّي، والفارسي، والقاضي عبدالجبّار المعتزلي، وغيرهم. وروى عنه: أحمد بن الحسين الخزاعي، وجعفر بن محمّد الدوريستي، وغيرهما. كان عالماً فاضلاً وأديباً مترسّلاً وشاعراً مجيداً وعفيفاً عالي الهمّة سخياً، كما عبّر بذلك ابن الجوزي. وكان متولّياً لنقابة الطالبيّين، والنظر في المظالم، والحجّ بالناس. صنّف كتباً، منها: معاني القرآن، حقائق التنزيل، أخبار قضاة بغداد، خصائص الأئمّة، ←

١٧ ـ القصّة بين التوراة والقرآن.
١٨ ـ النماذج الإنسانية في القرآن
١٩ ـ المنطق الإنساني في القرآن.
٢٠ ـ أساليب العرض الفنّي في القرآن.
٢١ ـ لحظات مع الخالدين.
٢٢ ـ معالم في الطريق ـ المجموعة الثانية.
٢٣ ـ في ظلال السيرة.
٢٤ ـ في موكب الإيمان.
٢٥ ـ أوّليات في هذا الدين.
٢٦ ـ تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر.
٢٧ ـ نحو مجتمع إسلامي ـ المجموعة الثانية.
٢٨ ـ هذا القرآن.
٢٩ ـ أمريكا التي رأيت[١].

مجموعة مذكّرات وبحوث دوّنها سيّد قطب عندما كان في أمريكا، وقد تمّ نشر بعض فصول الكتاب في مجلّة «الرسالة».

وكان سيّد قطب قد بثّ هذه المذكّرات في مؤلّفاته بمناسبة الحديث عن رحلته إلى أمريكا. وبدوره قام الدكتور أبوالصلاح الخالدي بتجميع هذه الذكريات من بطون مؤلّفاته، وجعلها في كتاب أسماه «أمريكا من الداخل بمنظار سيّد قطب».

← الديوان. توفّي ببغداد سنة ٤٠٦ هـ، ودفن في داره، ثمّ نقل رفاته إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام. (المنتظم ١٥: ١١٥ ـ ١١٩، الدرجات الرفيعة: ٤٦٦ ـ ٤٨٠، بهجة الآمال ٦: ٤٠٥ ـ ٤١٥).

(١) الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ٥٧٠.

فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آيا ما مسلمان هستيم (هل نحن مسلمون؟).

تأليف: محمّد قطب / ترجمة: جعفر طباطبائي / نشر: آسيا ـ طهران.

٣ ـ آينده در قلمرو إسلام (المستقبل لهذا الدين).

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / ترجمة: السيّد علي الخامنئي / نشر: طهران.

٤ ـ أبو الشهداء: أبو الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

تأليف: عبّاس محمود العقّاد المتوفّىٰ سنة ١٩٦٤ م / تحقيق: محمّد جاسم داغر الساعدي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

٥ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام.

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِركْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

٦ ـ الأغاني.

تأليف: أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٣٥٦ هـ / مراجعة: عبد الستار أحمد فرّاج / نشر: دار الثقافة ـ بيروت.

٧ ـ إملاء ما منّ به الرحمان: إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أو: التبيان في إعراب القرآن.

تأليف: أبي البقاء محبّ الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري الأزجي المتوفّى سنة ٦١٦هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ.

٨ ـ **أنساب الأشراف.**

تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ / تحقيق: د. سهيل زكّار ود. رياض زركلي / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

٩ ـ **بهجة الآمال: بهجة الآمال في شرح زبدة المقال.**

تأليف: علي العلياري التبريزي المتوفّىٰ سنة ١٣٢٧ هـ / طبع: المطبعة العلميّة ـ قم / ١٤٠٨هـ.

١٠ ـ **تاريخ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر.**

تأليف: أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب المتوفّىٰ سنة ٧٣٢ هـ / تحقيق: محمود ديّوب / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧هـ.

١١ ـ **تاريخ مدينة دمشق.**

تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفّىٰ سنة ٥٧١ هـ / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥هـ.

١٢ ـ **تاريخ اليعقوبي: كتاب التاريخ.**

تأليف: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفّىٰ بعد سنة ٢٩٢ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٣ ـ **تقريب التهذيب.**

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٥هـ.

١٤ ـ **تهذيب التهذيب.**

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٤ هـ.

١٥ ـ **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث).**

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥ م.

١٦ ـ **چرا إعدامم كردند (لماذا أعدموني؟).**

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦م / ترجمة: مصطفى أربابي / نشر: مكتبة خالد ابن الوليد سراوان ـ إيران / ١٣٦٩ هـ. ش.

١٧ ـ **دائرة المعارف الإسلاميّة.**

تأليف: مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة: د. محمّد مهدي علّام / نشر:دارالفكر ـ بيروت.

١٨ ـ **دائرة المعارف بزرگ إسلامي (دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى).**

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: مركز دائرة المعارف بزرگ إسلامي ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٤ هـ. ش.

١٩ ـ **الدرجات الرفيعة: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة.**

تأليف: صدرالدين علي خان بن أحمد بن محمّد معصوم بن أحمد بن إبراهيم الحسيني المدني الشيرازي المتوفّى سنة ١١٢٠ هـ / نشر: مؤسّسة الوفاء ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ.

٢٠ ـ **رويدادها (الوقائع).**

إعداد: جماعة من الباحثين / نشر: الإدارة المركزية لأئمّة الجمعة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٠ هـ. ش.

٢١ ـ شخصيات لها تاريخ.

إعداد: عبدالرحمان المصطاوي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

٢٢ ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

٢٣ ـ الشهيد سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

تأليف: د. صلاح عبدالفتّاح الخالدي / نشر: دار الفكر ـ دمشق / ١٩٩٩ م.

٢٤ ـ الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: الطبقات الكبرىٰ.

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٥ هـ.

٢٥ ـ طفل في القرية.

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٢٦ ـ العبر: العبر في خبر من غَبَر.

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: د.صلاح الدين المنجد / نشر: دائرة المطبوعات ـ الكويت / ١٩٦٠ م.

٢٧ ـ عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعيّة في الإسلام).

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / ترجمة: هادي خسروشاهي / نشر: دار الشروق ـ طهران / الطبعة الثانية.

٢٨ ـ عظماء الإسلام: عظماء الإسلام عبر أربعة عشر قرناً من الزمان.

تأليف: محمّد سعيد مرسي / نشر: مؤسّسة اقرأ ـ مصر / ١٤٢٣ هـ.

٢٩ ـ العقد الفريد.

تأليف: أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٣٢٨ هـ / تحقيق: د. مفيد

محمّد قميحة / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧ هـ.

٣٠ـ **الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب.**

تأليف: عبدالحسين أحمد الأميني النجفي المتوفّى سنة ١٣٩٢ هـ / تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة / نشر: مؤسّسة دار معارف الفقه الإسلامي ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٥هـ.

٣١ـ **فكر سيّد قطب في ميزان الشرع.**

تأليف: المستشار سالم البهنساوي / نشر: دار الوفاء ـ المنصورة (مصر) / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

٣٢ـ **فلسفة المشروع الحضاري.**

تأليف: أحمد محمّد جاد عبدالرزّاق / نشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي / ١٤١٦هـ.

٣٣ـ **لسان الميزان .**

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة٨٥٢هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

٣٤ـ **ما چه مي گوييم (ماذا نقول؟) الترجمة الفارسيّة لكتاب دراسات إسلاميّة.**

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / ترجمة: هادي خسروشاهي / نشر: مكتب نشر الثقافة ـ طهران / ١٣٧٠ هـ. ش.

٣٥ـ **مجلّة «تاريخ فرهنگ معاصر» (مجلّة تاريخ الثقافة المعاصرة).**

نشر: إيران / ١٣٧١ هـ. ش.

٣٦ـ **مجلّة «المسلمون».**

نشر: دمشق.

٣٧ـ **مجمل اللغة.**

تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفّى سنة ٣٩٥ هـ / تحقيق:

شهاب الدين أبي عمرو / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤هـ.

٣٨ ـ مرآة الجنان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨هـ / تحقيق: خليل المنصور / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧هـ.

٣٩ ـ المستقبل لهذا الدين.

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٩٦٥م.

٤٠ ـ مطاعن سيّد قطب في أصحاب رسول الله.

تأليف: ربيع هادي العميري الداخلي / نشر: المملكة العربيّة السعوديّة / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٧م.

٤١ ـ المعارف .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق: ثروت عكاشة / نشر: مطبعة دار الكتب / ١٩٦٠ م.

٤٢ ـ معالم في الطريق.

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / ١٩٦٨ م.

٤٣ ـ معجم المؤلّفين .

تأليف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٤ ـ المفسّرون للإيازي: المفسّرون.. حياتهم ومنهجهم.

تأليف: محمّد علي إيازي / نشر: مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤هـ.

٤٥ ـ **مقوّمات التصوّر الإسلامي.**

تأليف: سيّد قطب المتوفّى سنة ١٩٦٦ م / نشر: دار الشروق ـ القاهرة / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٨ هـ.

٤٦ ـ **ملحق موسوعة السياسة.**

تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م.

٤٧ ـ **المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك .**

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفىٰ عبد القادر عطا / مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ.

٤٨ ـ **المنظور التاريخي: المنظور التاريخي في فكر سيّد قطب.**

تأليف: د. عماد الدين خليل / نشر: دار القلم ـ دمشق والدار الإسلاميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

٤٩ ـ **الموجز في الأدب العربي وتاريخه.**

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩١ م .

٥٠ ـ **موسوعة أعلام الفلسفة: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب .**

إعداد: روني إيلي ألفا / مراجعة: د. جورج نخل / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

٥١ ـ **موسوعة السياسة.**

تأليف: د. عبدالوهاب الكيّالي بمشاركة جماعة من الاختصاصيّين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م.

٥٢ ـ **موسوعة المورد .**

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٩٨٠ م .

٥٣ ـ **النصائح الكافية: النصائح الكافية لمن يتولّىٰ معاوية .**

تأليف: محمّد بن عقيل بن عبد الله بن عمر العلوي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٠ هـ / نشر: دار الثقافة ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ .

٥٤ ـ **وفيات الأعيان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .**

تأليف: شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الأربلي المتوفّىٰ سنة ٦٨١ هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ. ش / أُفسيت عن دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٨ م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث
الميلاد والمدرسة

الفصل الرابع
رحلته إلى بيت الشيطان

الفصل الخامس
في خندق الصحافة

الفصل السادس
شخصيات مؤثرة في حياته

الفصل السابع
أفكاره

الفصل الثامن

مشروعه الوحدوي

الفصل التاسع

نضاله السياسي

الفصل العاشر

تراثه الفكري